

الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية

المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه

تأليف: رودى پارت
ترجمة: مصطفى ماهر

مركز
القومي
للترجمة



**الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية
المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه**

المركز القومي للترجمة

تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

إشراف: فيصل يونس

سلسلة ميراث الترجمة

المشرف على السلسلة: مصطفى لبيب

- العدد: 1784

- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية

- رودي پارت

- مصطفى ماهر

- 2011

هذه ترجمة كتاب:

THE STUDY OF ARABIC & ISLAM AT GERMAN UNIVERSITIES:

German Orientalists since Theodor Nöldeke

By: Rudi Paret

Copyright © 1968 by Franz Steiner Verlag, Stuttgart

Arabic Translation © 2011, National Center for

Translation

Alle Rechte vorbehalten

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة.

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com

Tel: 27354524- 27354526

Fax: 27354554

**الدراسات العربية والإسلامية
في الجامعات الألمانية**

المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه

تأليف: رودى پارت

ترجمة: مصطفى ماهر



2011

بارت، رودى.

الدراسات المربية والإسلامية فى الجامعات
الألمانية: المستشرقون الألمان منذ ثيودر نولدكه
/ تأليف: رودى بارت؛ ترجمة: مصطفى ماهر. -
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١ .
١٣٦ص؛ ٢٠سم . - (المركز القومى للترجمة)

تدمك ١ ٨٢٥ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الاستشراق والمستشرقون.

١ - ماهر، مصطفى. (مترجم)

ب - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٣٩٨ / ٢٠١١

I. S. B. N 978 - 977 - 421 - 835 - 1

ديوى ٨٠١،٩٥

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب
الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى
اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة المترجم
١١	مقدمة المؤلف
١٣	● بداية الاستشراق
١٧	● استشراق . استغراب
٢١	● عصر التنوير وعصر الرومانتيكية .. تطور الدراسات العربية
٢٧	● الدراسات الإسلامية علم تاريخي
	● المرحلة التالية لتطور الدراسات الإسلامية حتى العقد
٤٣	الرابع من القرن العشرين
	● العناية بالدراسات العربية وتطورها إلى العقد الرابع
٦٩	من القرن العشرين
٨٥	● الاستشراق الألماني منذ عام ١٩٣٢
٨٧	● الدراسات الإسلامية
١١٣	● الدراسات العربية منذ عام ١٩٣٢
١٢١	● مؤسسات ومنظمات .. مجلات وسلاسل
١٢٥	● نظرة إلى الوراء ونظرة إلى الأمام
١٢٩	● فهرس بأسماء المستشرقين الذين ورد ذكرهم بالكتاب ..

مقدمة المترجم

مؤلف هذا الكتاب الأستاذ الدكتور رودى پارت عالم جليل كرس حياته لخدمة علوم العربية وعلوم الإسلام، وصنف فيها عدداً كبيراً من الدراسات العميقة سدّ بها ركناً هاماً فى مكتبة الاستشراق. وحسبنا أن نذكر ترجمته للقرآن التى عكف على ترجمتها عشرات السنين وأخرجها تباعاً بين عام ١٩٦٣ وعام ١٩٦٦، تلك الترجمة التى تشهد بتبحره فى لغة الضاد ويفهمه الواسع لمعانى الكتاب الكريم. أما أعماله الأخرى فنشير منها إلى كتاب له عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وإلى دراسة الرواية الشعبية المصرية «سيف بن ذى يزن»، وإلى دراسة فى قصص الهوى فى الأدب العربى القديم، ودراسة فى أدب المغازى وفى الثقافة الإسلامية بالعصر الوسيط وفى صلة الإسلام بالثقافة الإغريقية.

والكتاب الذى ترجمناه له ونقدمه للقارئ العربى يعرض صورة لتطور الدراسات العربية والدراسات الإسلامية فى الجامعات الألمانية منذ منتصف القرن التاسع عشر على وجه التقريب. ولهذا فإننا نستطيع دون تورط فى خطأ أو مبالغة أن نعتبره تكملة بطريقة أخرى للدراسة القيمة التى ألفها الأستاذ الدكتور يوهان فوك بعنوان «الدراسات العربية فى أوروبا من القرن الثانى عشر إلى مطلع القرن

التاسع عشر، ونشرها عام ١٩٤٤ (فى مجموعة دراسات فى علوم العربية والسامية وعلوم الإسلام أخرجها ريشارد هرتمان وهلموت شيل)، ثم تناولها من جديد بالزيادة والتوسيع ونشرها فى عام ١٩٥٥ فى لايبستج باسم «الدراسات العربية فى أوروبا منذ البداية إلى مطلع القرن العشرين». على أنه لا ينبغى أن يفوت علينا أن الأستاذ پارت شمل بكتابه مجالاً أوسع، فهو لا يكتفى بالدراسات العربية، بل يضم إليها الدراسات الإسلامية بأفرعها المختلفة.

وقد تعرض المؤلف فى أجزاء من الكتاب لموضوع هام هو مدى تقبّل أهل الشرق لدراسات المستشرقين. والرأى عنده أن دراسات المستشرقين تقابل بالشك والريبة، واستشهد بكتاب صغير للدكتور محمد البهى بعنوان «المبشرون والمستشرقون ومواقفهم من الإسلام». والحقيقة أن الاستشراق ارتبط فى بدايته. كما يقرر الأستاذ يوهان فوك فى كتابه المشار إليه. بالحركة الصليبية، وأن المستشرقين الأول كانوا يعتبرون عملهم نوعاً من الكفاح ضد الإسلام والعروبة. وكذلك ارتبط الاستشراق فى أوقات بعينها، وفى كتاب الأستاذ رودى پارت نفسه أمثلة على ذلك، بالاستعمار. ولهذا فلا ينبغى أن يكون من المستغرب أن يوجد بين المسلمين والعرب اتجاه يقوم على الارتباب والتشكك فى نوايا المستشرقين. على أننا لا ننكر الاهتمام الكبير الذى حظى به المستشرقون الذين تتسم أعمالهم بالموضوعية العلمية فى الشرق. وليس أدل على ذلك من تلك العبارة التى قدريها الأستاذ الدكتور طه حسين المستشرقين وأعمالهم: «كيف يتصور أستاذ للأدب العربى لا يلم بما انتهى إليه الفرنج المستشرقون من النتائج العلمية المختلفة، حين درسوا تاريخ الشرق وأدابه ولغاته؟ وإنما يلمس العلم الآن عند هؤلاء الناس». (من كتاب «الأدب الجاهلى»، انظر مجلة العربى العدد ١٠٢، ص ١٤٤ ١٤٥ و ١٤٦).

أما أعمال المستشرقين في مجال الدراسات الإسلامية، فهي أعمال لها أهميتها الكبرى، ولكن المسلمين ينظرون إليها نظرة تختلف عن الأعمال التي ينشئها العلماء المسلمون، فالإسلام بالنسبة للمسلمين ليس علماً فحسب، ولكنه قبل كل شيء آخر دين. ولا بد أن نسجل بالإنصاف جهود المستشرقين الجادين غير المغرضين حتى في مجال الدراسات الإسلامية نفسها. ونحيل القارئ مرة ثانية إلى مجلة العربي السابق الإشارة إليها.

والرأى عندنا أن الأعمال الكبرى لكبار المستشرقين ينبغي أن تنقل بصفة منتظمة إلى اللغة العربية، حتى يفيد منها الباحثون. حقيقة أن عدداً من هذه الأعمال قد ترجم ونشر بالفعل، ولكن ما بذل في هذا الميدان من جهد قليل. ويفيد الكتاب الذي نقدمه هنا في التعريف بأعمال المستشرقين الألمان، ونحن بحاجة إلى كتب مماثلة تعرفنا بأعمال المستشرقين في جامعات البلاد الأخرى في شتى بلاد الدنيا.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أسجل شكرى للأستاذ الدكتور رودي پارت على تفضله بمراجعة ترجمتى لكتابه، وعلى مقترحاته المتعددة التي أفدت منها.

وبعد انقضاء ما يقرب من نصف قرن على الترجمة التي صدرت في القاهرة في مايو ١٩٦٧ تناولتها هنا بالمراجعة والتصحيح والتجديد في هذه الطبعة الجديدة المتقنة.

دكتور مصطفى ماهر

القاهرة: ٢٠١٠

مقدمة المؤلف

فى صيف عام ١٩٢٠ أتيحت لى فرصة القيام من جامعة هايدلبرج، حيث كنت مضطلعاً بالدراسات الشرقية، لزيارة تيودور نولدكه (١٨٢٦ - ١٩٢٠) فى مدينة كارلسروهه القريبة، لزيارة أستاذ الاستشراق الجليل الذى حظى بتقدير عالمى فى مادته.

كانت هذه الزيارة خبرة جد مؤثرة فى نفس الزائر الذى لم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره بعد، والذى لم يكن قد بدأ إلا منذ قليل فى توسيع أفق علمه وتخصصه وفى انتهاج طريق علمية مستقلة لإنمائه، إذ أوقفته أمام عالم هرم بلغ من العمر أكثر من ثلاثة أضعاف ما بلغ هو، ومكنته من التناقش معه فى أمور العلم. كان نولدكه آنذاك وهو فى الرابعة والتسعين يعانى طبيعاً من طائفة من العلل الجسمانية، ولكنه كان من الناحية العقلية نشيطاً يقظاً على نحو يثير الدهشة، وكان يدخل عن طيب خاطر فى مناقشة موضوعات خارجة عن ميادين تخصصه واهتمامه ذاتها. وكان يضممر وراء كل كلمة من كلماته ذلك الضرب من

صفاء الفكر الإنسانى الذى يقنع المستمع إلى عالمٍ بصدقها منذ
البداية.

لقد أحسست فى هذا اللقاء كأنى واحد من طلاب العلم خرج طلباً
للعلم، ليؤدى فروض الاحترام لشيخ ذائع الصيت، وليتصل عن طريقه
بتقاليد العلم وتراثه صلة مباشرة شخصية.

بداية الاستشراق

كل من يشتغل بالاستشراق، حتى ولو بجزء صغير منه، يحس بالامتنان لترات الاستشراق ويعترف بالشكر للجهود العلمية التي بذلها آخرون قبله، علماء فرادى، أو أجيال كاملة من العلماء. والميدان العلمي، الذي وهب أمثالنا أنفسهم له، ميدان يختص بعالم، لا نتصل نحن به بصلة الانتماء. وما كنا لننفذ إليه، إن لم نكن نحتمك بين أيدينا على معينات معينة تمكنا من توسيع آفاقنا ومن إلقاء نظرة إلى ذلك العالم الغريب علينا. ولو اقتصر أمر الصعوبات في ذلك المسعى على الصعوبات اللغوية، لكفت عائقاً لا يقهر، إن لم تكن هذه المعينات بين أيدينا. فنحن بحاجة إلى كتب في قواعد اللغة وإلى قواميس لنشق بها طريقنا إلى اللغة العربية واللغة الفارسية واللغة التركية، وهي لغات لم نلم بأدنى طرف منها في المدارس. لم تنشأ كتب النحو والقواميس هذه مرة واحدة، بل جاءت ثمرة جهود مضية بذلتها الأجيال المتعاقبة. وترتبط بصعوبة تعلم اللغات المشار إليها صعوبة أخرى؛ إذ ينبغي على طالب هذه اللغات أن يحاول أن يشق طريقه إلى التعرف على العالم الفكري الذي تجسم في التعبير الأدبي لهذه اللغات، وخاصة اللغة

العربية، والذي أصبح هذا التعبير الأدبي سجلاً له. ولا يمكن أن يتم هذا إلا بالاعتماد على كتب علمية قام بتأليفها علماء متخصصون سابقون استندوا فيها إلى أعمال من سبقوهم. وهكذا كلما نفذنا إلى المادة وتوغلنا فيها، تبيننا بوضوح أكبر، أن كل عالم من العلماء يبنى على أساس من نتائج بحوث سلفه، يتبناها تارة، وتارة يكملها ويحسنها، وأن النتائج التي نتوصل نحن إليها، نتائج غير نهائية بل نتائج تنتظر أن يتجاوزها ما سيقوم به الجيل التالي من بحث (إن لم يكن الجيل نفسه). أو نوجز فنقول: إن كل شيء في حركة متصلة: كل عالم يكمل البناء على أساس أرساه آخرون سبقوه. وعلم الاستشراق كما هو بين أيدينا اليوم نتيجة نشاط أجيال عديدة من العلماء.

ومع ذلك فلا بد أن الاستشراق قد بدأ بوصفه علماً يوماً ما. فمتى كان ذلك؟ وما هي القوة الدافعة التي كمنت وراء ذلك؟

إذا نظر المرء إلى الوراء إلى تاريخ تطوّر الاستشراق ولم يتردد في التبسيط رغبة في زيادة الوضوح، فإنه يستطيع أن يقول: إن بداية الدراسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر. ففي عام ١١٤٢ تمت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأب بيتروس فينيرابيليس رئيس دير كلوني، وكان ذلك على أرض إسبانية. وعلى الأرض الإسبانية وفي القرن الثاني عشر أيضاً نشأ أول قاموس لاتيني عريي. وفي القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر بذل رايموندوس لالوس - المولود في جزيرة ميورقة - جهوداً كبيرة لإنشاء كراسى لتدريس اللغة العربية، وكان قد تعلم اللغة العربية على عبد عريي. وكان الهدف من هذه الجهود في ذلك العصر وفي القرون التالية هو التبشير، وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى

الدين المسيحي. ويمكن الاطلاع على هذا الموضوع بتفصيلاته في الكتاب الكبير الذى وضعه نورمن دانيل باسم «الإسلام والغرب» (١٩٦٠، الطبعة الثانية ١٩٦٣)^(١). كان موقف الغرب المسيحي فى العصر الوسيط من الإسلام، هو موقف الدفع والمشاحنة فحسب. صحيح أن العلماء ورجال اللاهوت فى العصر الوسيط كانوا يتصلون بالمصادر الأولى فى تعرفهم على الإسلام وكانوا يتصلون بها على نطاق كبير، ولكن كل محاولة لتقييم هذه المصادر على نحو موضوعى نوعاً ما، كانت تصطدم بحكم سابق يتمثل فى أن هذا الدين المعادى للمسيحية لا يمكن أن يكون فيه خير. وهكذا كان الناس لا يولون تصديقهم إلا تلك المعلومات التى تتفق مع هذا الرأى المتخذ من قبل، وكانوا يتلقفون بنهم كل الأخبار التى تلوح لهم مسيئة إلى النبى العرى وإلى دين الإسلام.

وعلى هذا الاعتبار تختلف المراحل الأولى للدراسات العربية والإسلامية اختلافاً جوهرياً، عما نفهمه اليوم - أو على وجه أدق: منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريباً - من هذين العلمين. فتحن، معشر المستشرقين، عندما تقوم اليوم بدراسات فى العلوم العربية والعلوم الإسلامية لا تقوم بها قط لكى نبرهن على ضعة العالم العربى الإسلامى، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذى يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة والذى عبّر عنه الأدب العربى كتابة. ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شىء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نعمل فيه النظر، بل نقيم وزناً فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخى أو يبدو كأنه يثبت أمامه. ونحن فى هذا نطبق على الإسلام وتاريخه،

.Norman Daniël, Islam and the West, 1960, 2. Aufl. 1963 (١)

وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدوّنة لعالمنا نحن. وإذا كانت إمكانات معرفتنا محدودة - وهل يمكن أن تكون إلا كذلك؟ - فإننا نؤكد بضمير مطمئن أننا في دراساتنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة. أما الرأي المضاد لذلك والذي نشره عالم الأزهر الأستاذ البهي في كتيبه الذي صدر أخيراً باسم «المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام»، فتحيط به علماً ونحن هادئو البال (انظر مناقشة هذا الكتيب بقلم محمد يحيى هاشمي/ حلب في: ("Die Welt des Islams", N. S. 8, 1962 - 63)).

استشراق - استغراب

الاستشراق علم يختص بفقهِ اللغة خاصة. وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه. كلمة استشراق مشتقة من كلمة «شرق». وكلمة شرق تعنى مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي. والأمر إلى هذا الحد واضح كله. ولكن ما معنى كلمة شرق في هذا المقام بالذات؟ الظاهر أن اسم الشرق تعرض لتغيير في معناه، فالشرق بالقياس إلينا، نحن الألمان، يعنى العالم السلافي، العالم الواقع خلف الستار الحديدي. وهذه المنطقة تختص بها علمياً بحوث شرق أوروبا Osteuropaforschung أما الشرق الذي يختص به الاستشراق، فمكانه جغرافياً في الناحية الجنوبية الشرقية بالقياس إلينا. والمصطلح يرجع إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة، إلى الوقت الذي كان فيه البحر المتوسط يقع كما قيل في وسط العالم، وكانت الجهات الأصلية تتحدد بالنسبة إليه. فلما انتقل مركز ثقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال بقى مصطلح الشرق رغم ذلك دالاً على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط.

كذلك تعرّضت لفضة «الشرق» في أعقاب الفتوحات العربية الإسلامية لتغيير آخر في معناها، أو إذا شئنا دقة أكثر، تعرّضت لاتساع في نطاق مدلولها. فقد انطلق الفاتحون في ذلك الوقت من شبه الجزيرة العربية لا ناحية الشمال والشرق فحسب، بل ناحية الغرب كذلك، وزحفوا في غضون عشرات من السنين إلى مصر وشمال أفريقيا حتى بلغوا المحيط الأطلسي. واستوطن الإسلام قطاع بلدان شمال أفريقيا دينا وتعرب السكان تدريجياً، وهم الأقباط في مصر والبربر غربها. ومنذ ذلك الحين تعتبر مصر وبلدان شمال أفريقيا ضمن الشرق، ويختص الاستشراق، وإن كان اسمه - الاستشراق - يفترض أنه يختص بالبلدان الشرقية دون غيرها.

ومهما يكن من أمر، فإن الاسم لا يبيّن بوضوح مستقيم المقصود منه بالضبط، والمهم هو الموضوع ذاته. والموضوع ذاته يفتح مجالاً آخر للتفكير.

الاستشراق في ألمانيا حالياً وفي العالم الأوربي الحديث كله مادة علمية معترف بها من الجميع. ولا حاجة بها. وإن قل عدد المشتغلين بها، إلى البرهنة على أنها مادة علمية جديرة بالوجود، فقد تم لها هذا، وتوشك أن تكون ممثلة في كل جامعة من الجامعات بكرسى رسمى يشغله أستاذ، ثم هناك عدد عظيم من وظائف المدرسين والمعيرين في تخصص الاستشراق، إلى جانب الأساتذة، ويعنى هذا أن الناشئة من المستشرقين يلقون ما يؤمن مستقبلهم من الناحية المالية نوعاً ما. ونحن جميعاً، المتمتعين بهذه النظم، نعترف شاكرين بأن المجتمع ممثلاً في الحكومات والمجالس النيابية يضع تحت تصرفنا الإمكانيات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق وللحفاظ على نشاطنا التعليمي في هذا

المضمار. ويسرنا أن نرى كل عام أفراداً من الحاصلين على شهادة إتمام الدراسة الثانوية يدفعهم اهتمامهم بالمادة، وتحفزهم موهبتهم اللغوية إلى الاتجاه لدراسة العلوم العربية أو الإسلامية أو أى فرع من أفرع الاستشراق الأخرى، ويحدوهم الأمل فى أن يتمكنوا فى المستقبل بطريقة أو بأخرى من المشاركة فى هذه الدراسات مشاركة المنتجين. وما تطلبه الدولة والمجتمع منا، معشر المستشرقين، هو بصفة عامة العمل بوصفنا مدرسين وباحثين متخصصين. أما التصرف فى أمر الموضوعات الخاصة التى ينصب عليها الدرس والبحث فمتروك لنا، ونحن نعرف كيف نقدر هذه الحرية، ونبذل جهودنا لترد على هذه الثقة التى حيينا بها، بالقيام بما يحقها من عمل مخلص ساع إلى الهدف المرجو فى مهنتنا. وعملنا على مستوى العلماء يسمى إلى هدف بعينه هو: اختراق الأفق الفكرى الذى تفرضه البيئة حولنا، وإلقاء نظرة إلى عالم الشرق، لكى نتعلم من الكيان الغريب علينا كيف نحسن فهم إمكانيات الوجود الإنسانى، وكيف نحسن بهذا فهم ذاتنا نحن فى نهاية المطاف.

ولا بأس من أن ننتهز هذه الفرصة فنثير سؤالاً، ولو من ناحية المبدأ، هو السؤال عن إمكانية أن ينشأ فى الناحية الأخرى، أى فى العالم العربى الإسلامى، اتجاه للبحث، شبيه بالدراسات الإسلامية عندنا، ولكن فى الواجهة المقابلة، يهدف إلى دراسة تاريخ الفكر فى العالم المسيحى الغربى وتحليله بطريقة علمية. ويمكن أن يطلق على مثل هذا الاتجاه فى البحث - إن أخذ مأخذ الجد وأرسيّت له قواعده الثابتة بوصفه نظاماً - علم الغرب أو باختصار «الاستغراب» وقد دعا الدكتور محمد رحبار فى المؤتمر الإسلامى العالمى الذى انعقد فى

لاهور فى ديسمبر ١٩٥٧ / يناير ١٩٥٨، بحماس إلى هدف من هذا القبيل، ولكنه لقي معارضة شديدة. ولنترك هذه النقطة العويصة الحساسة وشأنها الآن، ونكتفى بتقرير أن الحكم الذى يكوّنه الناس فى البيئات الإسلامية عن العالم المسيحى الغربى، حكم ما زال يشوبه - فى أغلبه - لون الدفع والمشاحنة الشديد، ثم بتقرير أن هناك أيضاً مسلمين مثقفين كثيرين يكونون للعالم المسيحى الغربى تقريراً موضوعياً. فلنأمل أن يكون اتجاه هؤلاء فى المستقبل مدرسة، وأن تنتشر بالتدريج صورة موضوعية لعالم الغرب بين الجماهير الواسعة للشعب وبين رجال الدين المسلمين وبين المتخصصين وغير المتخصصين! فإن هذا من شأنه أن يؤدى إلى تحقيق تفاهم أوسع بين العالمين، اللذين ظلّا منذ فجر العصر الوسيط قروناً طوالاً يقفان أحدهما من الآخر موقف العداة.

عصر التنوير وعصر الرومانتيكية

تطور الدراسات العربية

لم يتبع تطوُّر الاستشراق من مراحلهِ الأولى في العصر الوسيط إلى مرحلة التحوُّل النهائي إلى علم قائم على النقد التاريخي، طريقاً مباشرة مستقيمة، ولم يتم للاشتغال بالشرق وبمحمد وبالدين الذي نشره التحرُّر من طريقة البحث اللاهوتية المبنية على الدفع والمشاحنة إلا في العصر الحديث وتدرجياً. ولكن الجهود التي بذلت لإنصاف عالم الشرق ورسم صورة له مستمدة من المصادر تعرّضت من حين لآخر لاتجاهات اعترضت سبيلها، أو غطت عليها وأدت إلى تشويه صورته. كان من بين ممثلي حركة التنوير من رأوا في النبي العربي أداة الله ومشرعاً حكيمًا ورسولاً للفضيلة وناطقاً بكلمة الدين الطبيعي الفطري مبشراً به. وصحب هذا الاتجاه تحمس رومانتيكي لكل ما هو شرقي، فلا عجب أن يكون لانطوان جالان (١٦٤٦ - ١٧١٥) تأثير بالغ الشدة على جماهير غفيرة من القراء بالترجمة الأولى التي أنشأها لمجموعة القصص والحكايات العربية العظيمة «ألف ليلة وليلة» وجعلها مناسبة للذوق الفرنسي في ذلك العصر. وقد أثرت على يوهان فولفجنج فون جوته، في القرن التالي، تأثيراً متنوع الجوانب، كما أثبتت كاتارينا مومزن أخيراً

فى بحوثها التفصيلية. أما اللقاء المثمر بحق الذى تم لجوته مع الشرق، فيرجع إلى يوم اتصل بقصائد الشاعر الفارسى حافظ فى ترجمة هَمَر بورجشْتَل. يقول جوته فى كلمة دَوْنها بيومياته عام ١٨١٥: «كان لزاماً على أن أقف موقف المنتج، لأنى إن لم أفعل، ما كنت أستطيع أن أصمد أمامه، أمام هذه الظاهرة القوية، ولقد كان تأثيرها فى نفسى شديداً حياً، شدةً وحيويةً بالفتين. كانت الترجمة الألمانية بين يدي، وكان على أن أجد فيها دافعاً يدفعنى إلى المشاركة فيها. وانطلق من وجدانى كل ما كان كامناً أو معتملاً فيه أشياء تشبه المادة والمعانى التى اطلعت عليها، انطلق بدرجة من العنف شديدة جعلتلى أحس فى نفسى حاجة ملحة إلى أقصى حد تدفعنى إلى الهرب من العالم الواقعى الذى يتهدد ذاته سرّاً وجهراً، الهرب إلى عالم خيالى يترك لرغبتى وقدرتى وإرادتى مهمة الاشتراك السعيد فيه». وكانت ثمرة هذا اللقاء ما نجده بين دفتى «الديوان الغربى الشرقى». هذا الكتاب الذى أحبه الكثيرون من مبجلى الشاعر العظيم واعتبروه ثمرة من أعظم الثمار وأثمنها، والتى جادت به قريحته المنوعة الجوانب. والمرء إذا اطلع على الجزء الذى ألحقه جوته بالديوان وأسماه «مذكرات ومقالات»، تبين كيف جمع جوته بهمة كل ما نفا إلى خبرته من معلومات عن عالم الشرق، وكيف ناقشها ومحصها بقوة. أما أن الديوان العربى الشرقى «يصح أن يسمى بالعهد الأعظم لبحوث الشرق» كما قال هانس هاينريش شيدر (١٨٩٦ - ١٩٥٧) فى كتابه «Goethes Erlebnis des Ostens»^(١) مصطنعاً عبارة بلاغية، فأمر لا يوجد بالديوان ما يمكن من استنتاجه. كان الدافع إلى إبداع الديوان هو النموذج الفارسى المتمثل فى الشاعر حافظ، ولكن الديوان رغم

(١) لايبسج ١٩٢٨، انظر ص ٧٤، والنص الذى استشهدنا به قبل ذلك من الكتاب نفسه ص ١١.

تسميته بهذا الاسم الشرقى، لا يزيد ولا ينقص عن أن يكون حواراً شعرياً لجوته مع نفسه، وليس له فى أساسه علاقة بالاستشراق. إذا أردنا أن ننسب شاعراً ألمانياً إلى الاستشراق، فالأمثل أن نذكر فريدرش روكرت (١٧٨٨ - ١٨٦٦)، الذى كان يجد القوافى الألمانية بسهولة فائقة، والذى ترجم تحت اسم *Verwandlungen des Abu Seid von Serug* مقامات الحريرى ترجمة أدبية أمينة أمانة تعطى للقارئ الألمانى انطباعاً مقابلاً لما يعطيه الأصل العربى من انطباع. لهذا فإن «*Verwandlungen des Abu Seid von Serug*» يعتبر بحق عيّنة من الأدب الألمانى الذى بلغ الكمال فى شكله، ويعتبر، إلى هذا، عملاً من أعمال الاستشراق.

قلنا: إن تطوّر الاستشراق لم يتبع طريقاً مباشرة مستقيمة، ولم يتشكل بوصفه علمًا إلا عندما تأكد استعداد الناس للانصراف عن الآراء السبقية وعن كل لون من ألوان الانعكاس الذاتى، وللإعتراف لعالم الشرق بكيانه الخاص الذى تحكمه نظمه الخاصة، وعندما اجتهدوا فى نقل صورة موضوعية له ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. وليس من الممكن تحديد الفترة التى بدأ فيها مثل هذا الاتجاه الجديد على وجه الدقة. فإذا وضعنا بقصد التبسيط «منتصف القرن التاسع عشر»، فإننا نعنى بهذا فقط أن الصفة العلمية بالمعنى الحديث ظهرت فى هذا الوقت على الاستشراق بوضوح أكثر من ذى قبل. ولكن النية المتجهة إلى فهم الموضوعات فهما موضوعياً، كانت موجودة قبل ذلك بكثير، وجوداً يمكن إثباته بالأدلة والشواهد، وكانت أوضح ما تكون فى مجال الدراسات اللغوية، ودراسات اللغة العربية خاصة، بالمعنى الضيق لهذه الانطلاقة.

فقد كان تعلم اللغة العربية وتعليمها يقتصران على التمكن من وقائع مجردة خالصة، ولم يكن الاختلاف في الأمور الدينية وما يتبعه من خطر تشويه المضمون يظهر، إلا بعد التمكن من اللغة، وانتهاج سبيلها إلى الثقافة العربية الإسلامية الغربية المدونة. (وهذا هو السبب الذي يظل من أجله المستشرقون العاملون في الصعيد اللغوي بمنأى عن هجوم الرأي العام العربي الإسلامي في أيامنا هذه، في حين أن المستشرقين العاملين في صعيد الدراسات الإسلامية يُتهمون بسوء النية في أحوال ليست بالنادرة». من أساتذة العربية الأول نذكر بالثناء: الهولندي توماس ارينيوس (١٥٨٤ - ١٦٢٤) الذي نشر في عام ١٩١٣ كتابه Grammatica Arabica (= النحو العربي) وهو أول عرض منهجي للغة العربية الفصحى بقلم مؤلف أوروبي. وقد ظل هذا الكتاب طوال قرنين من الزمان يُعدُّ الكتاب الأوحَد لتعليم اللغة العربية، وتعددت طبعاته، وترجمه ي. د. ميشائيليس في عام ١٧٧١ إلى اللغة الألمانية. أما العالم الفرنسي سيلفستر دي ساسي (١٧٥٨ - ١٨٢٨) فكان عالماً رفيع القدر، وكان له تأثير يفوق تأثير ارينيوس بكثير، وكان يعمل منذ ١٧٩٥ أستاذاً للغة العربية في المدرسة الخاصة للغات الشرقية الحية المنشأة حديثاً في باريس. كان كتابه Grammaire arabe (= النحو العربي) وكتابه Chrestomathie arabe (= منتخب من أدب العرب) الكتابين الأساسيين في الدراسات العربية بالمنطقة الأوروبية كلها في حياته وبعد مماته، وظلا كذلك عشرات السنين. كان سيلفستر دي ساسي، بالإضافة إلى ما قام به من نشرات، يعمل مدرساً أولاً وقبل كل شيء، ويرجع إليه فضل تحول باريس إلى مركز الدراسات العربية، وكعبة أمّها

التلاميذ والعلماء من مختلف البلاد، ليتعلموا على يديه. ذهب إليه من ألمانيا، على سبيل المثال لا الحصر، جيورج فيلهلم فرايتاج (١٧٨٨ - ١٨٦١) مؤلف Lexicon Arabico- Latinum (= المعجم العربي اللاتيني) الذي لا يزال يستعمل إلى اليوم، وجوستاف فلوجل (١٨٠٢ - ١٨٧٠) الذي نشر القرآن. ونشر فهرساً لآيات القرآن، وكتاب الفهرست لابن النديم، وكتاب كشف الظنون لحاجي خليفة، وهانيرش ليببرشت فلايشير (١٨٠١ - ١٨٨٨) الذي نقل فرعاً من شجرة مدرسة العربية البارسية إلى لايبنتسج. واشتهر فلايشير بملاحظاته النقدية وإضافاته التي كان يخصص بها المؤلفات التي ظهرت في موضوعات الدراسات العربية، وكان له في ذلك المضمار فضل كبير، فأخرج مقالاته Beiträge zur arabischen Sprachkunde (= مقالات في علم اللغة العربية) التي تدور حول كتاب النحو العربي لدى ساسي، وأخرج دراسات تتعلق بمصنف دوزي المسمى Supplément aux dictionnaires arabes (= ملحق للقواميس العربية). هذه المقالات وغيرها من المقالات التي جاد بها يراعه في ميدان الدراسات العربية والتي تكون ثلاثة مجلدات من «المقالات الصغيرة» سيعاد طبعها قريباً، مما يدل على مدى الأهمية التي ما زالت تتسم بها إلى اليوم. كذلك أخرج طبعة دقيقة من تفسير البيضاوي، ما زالت تستعمل إلى يومنا هذا. هذا إلى أن فلايشير قام بعمل تنظيمي مشكور إذ اشترك اشتراكاً حاسماً في تنظيم المستشرقين الألمان عام ١٨٤٥ في «الجمعية الشرقية الألمانية»، تلك الجمعية العلمية التي أصدرت مجلة باسمها، اكتمل لها الآن ١١٥ عددًا كما أصدرت «دراسات في علم الاستشراق» وأثرت في عصرنا الحاضر

تأثيراً خصباً هائلاً، حتى إنه لا يمكن الآن تصوُّر تاريخ الاستشراق في ألمانيا بدونها. وكان فلايشر، كما كان دي ساسي من قبله، أستاذاً جامعياً أولاً وقبل كل شيء آخر. فلما مات نهض بتراث المدرسة العربية بلايتسج البرت زوتسين (١٨٤٤ - ١٨٩٩) - ثم أوجست فيشر (١٨٦٥ - ١٩٤٩)، وكان أوجست فيشر تلميذاً لهائرش تورييكة (١٨٣٧ - ١٨٩٠) الذي مات مبكراً وكان في زمانه تلميذاً لفلايشر^(١).

(١) التاريخ المكتوب بعد اسم أحد المؤلفين هو تاريخ ميلاده إذا كان على قيد الحياة، أو تاريخ ميلاده ثم وفاته إذا لم يكن على قيد الحياة. أما التاريخ المكتوب بعد عناوين الكتب فهو تاريخ صدورها. (مترجم)

■ الدراسات الإسلامية علمٌ تاريخي

البداية

يرتبط الإسلام بالعروبة بعلاقة تبادل فريدة. كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي شبه الجزيرة وواحاتها التي سميت نسبة إليهم يعيشون فيها فسادًا - على حد حكم سكان البلاد المتحضرة المتاخمة - حتى أتى محمد ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد خالق باري، وجمعهم في كيان واحد متجانس. كان الشعر العربي قد أثمر أكرم ثماره، عندما انطلقت نغمات آيات القرآن وسوره لأول مرة في مكة، وهو أقدم أعمال الثقافة الإسلامية العربية الخاصة المدونة. ولكن العالم الواسع المتراعى الأطراف ما كان ليحس بالعرب لو لم يتحولوا بفضل صلتهم بالإسلام إلى عامل من عوامل القوة السياسية ويصبحوا بذلك ذوى أهمية - إن صح هذا التعبير - ولو لم يتلقف الناس القصائد العربية القديمة متأخرًا لتكون شواهد على لغة القرآن المقدسة - لانتقلت هذه القصائد بالرواية إلى أنحاء البادية ثم لهوت إلى هوة النسيان ولما أصابت الشهرة التي أصابتها اليوم. لهذا كانت ظاهرة الإسلام ظاهرة تلقى أسبقية وأفضلية في ميدان البحوث الاستشرافية، أو على الأدق في ميدان البحوث العربية الإسلامية. ولهذا أيضًا كان لزامًا علينا أن

نتعرّض أولاً في إطار أوسع لتطوُّر الدراسات الإسلامية وحدها في عصر نولدكه وفي الفترة التالية له. ولن ننظر في هذا المقام - على الأقل مؤقتاً - إلى الدراسات المتعلقة بالأدب، والتي لا تعالج موضوعات دينية خاصة، ولا إلى الدراسات المتعلقة بالشعر العربي القديم، ولا ينبغي أن نغفل مع ذلك أن هذه الدراسات كانت تلقى الاهتمام والعناية في الوقت نفسه، بل إنها كانت في أحيان كثيرة تلقى الاهتمام والعناية من العلماء أنفسهم. ويكفي أن نشير إلى نولدكه الذي نشط في ميدان الدراسات الإسلامية، ونشط في الوقت نفسه في ميدان الدراسات الدائرة حول الشعر العربي القديم.

وفي الأعوام ١٨٢٣ و ١٨٤٢ و ١٨٤٤ ظهرت مؤلفاتٌ فتحت، كل على طريقته، آفاق العصر الحديث في البحث التاريخي النقدي الذي تناول محمد وبداية الإسلام، من هذه المؤلفات: «النبى محمد، حياته وتعاليمه»، و«مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن» لجوستاف فايل (١٨٠٨ - ١٨٨٩) كان هذا الكاتب من أصل يهودي، تَرَبَّى تربية تلمودية، ثم درس بالجامعات الألمانية وعرف المنهج التاريخي. ويمتاز كتابا جوستاف فايل بأنهما من ناحية الموضوع أكثر شمولاً. وكتاب السيرة خاصة يستحق أن يعتبر فاتحة عصر جديد. فإذا كان الكتابان لا يجدان اليوم قراء يحفلون بهما، فمرد ذلك إلى أن البحث في حياة محمد قد تقدم في هذه الأثناء وظهرت نتائجه في منشورات حديثة قريبة المنال. وقد استعمل فايل في سيرته كل المصادر التي أمكنه الوصول إليها بكل الطرق، ورحل خاصة إلى مدينة جوتا ليلبحث في المكتبة الأميرية بها عن مخطوطات تختص بموضوعه، ووجد كتاب ديار بكرى المسمى «تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس»، والسيرة الحلبية، وهما كتابان نشأ في القرن السادس

عشر والسابع عشر، ولكنهما مع ذلك يحتويان على كثير من المواد القديمة الصادرة عن المنابع الأولى. كذلك وضع تحت تصرفه كتاب السيرة المحمدية الشهير، الذي لم يكن قد طبع بعد، «سيرة ابن هشام». (وقد نهض بنشر سيرة ابن هشام المستشرق فردينند فوستفيلد بين عام ١٨٥٨ وعام ١٨٦٠، وفي عام ١٩٦٤ نشر فايل نفسه ترجمة كاملة لها). أما كتابه «مدخل إلى القرآن» فقد قسم فيه السور المكية لأول مرة إلى ثلاث مجموعات، تقسيماً أخذ به نولدكه فيما بعد. وقد أتبع فايل كتابه «محمد النبي» بعد ذلك بكتاب فى ثلاثة مجلدات هو «تاريخ الخلفاء»، أكمله بـ «تاريخ الخلافة العباسية فى مصر». وفى هذه المصنفات كذلك استخدم المصادر الأولى بعد تمحيص مادتها وتقديرها قدرها على نحو استقلالى.

وتجدر الإشارة فى هذا المقام إلى مؤلف هام هو كتاب تاريخى مثير للجدل بطبيعته، اسمه «حياة محمد وتعاليمه حسب مصادر لم تستخدم غالبيتها إلى الآن»، من تأليف ألوييس شبرنجر (١٨١٣ - ١٨٩٣)، ظهر فى ثلاثة مجلدات من عام ١٨٦١ إلى ١٨٦٥ فى برلين، ثم أعيد طبعه عام ١٨٦٩. (وكان الجزء الأول من الكتاب قد ظهر بالإنجليزية فى الله آباد بالهند). كان ألوييس شبرنجر من منطقة التيرول أصلاً، وكان رجلاً نشيط الفكر، بعيد الترحال، لا يكل فى الإنتاج ولا يمل، وأوتى حظاً عظيماً مكّنه من تنفيذ برنامج للعمل خطه لنفسه فى شبابه، نصّ على تكريس نفسه للدراسات الآسيوية كلية وزيارة الشرق، والإسهام فى إدخال الثقافة الأوروبية هناك، والعودة إلى أوروبا بمعرفة صحيحة بالشرق وآدابه». وظل مدة تزيد على ١٢ عاماً مقيماً بالهند عاملاً فى ميادين التعليم والمكتبات والثقافة العامة، وانتهاز الفرصة فوسع اطلاعه

فى الثقافة الإسلامية المدونة وعرف ما كتب عن التاريخ العربى الإسلامى والتاريخ الهندى الإسلامى، فدفح ما دفع إلى المطبعة وجمع لنفسه ما استطاع إلى جمعه سبباً. وهكذا خرجت بإشارة منه طبعة «فهرست كتب الشيعة» للطوسى، وطبعة «الإتقان» للسيوطى، فى سلسلة «المكتبة الهندية» Bibliotheca Indica كذلك كانت له يد فى إخراج «ف. ن. ليس» لطبعة كشاف الزمخشرى، وفى إخراج «ا. فون كريمر» لطبعة (عبارة عن مقتطفات) من كتاب المغازى للواقدى. وقد اكتسب شپرنجر علماً واسعاً غير مألوف فى عصره بأعمال أدب العصر الإسلامى المبكر، وكان يمتلك مخطوطات من سيرة ابن هشام وتفسيرها السواحلى، ومن أجزاء من حوليات الطبرى، وقد عثر على الجزء الأول من كتاب الطبقات لابن سعد فى مكتبة خاصة فى كاونبور، وعثر على أجزاء أخرى من الكتاب فى دمشق. وكان على الأقل يعرف موطاً مالك، والصحيحين للبخارى ومسلم، ومجموعات الحديث الأربع المشهورة الأخرى، واستيعاب ابن عبد البر، وإصابة ابن حجر، وتاريخ ابن الأثير. ولما عاد شپرنجر عام ١٨٥٦ نهائياً إلى أوروبا، أحضر معه مجموعة من الكتب تقرب من ٢٠٠٠ مجلد، بينها ١١٠٠ مخطوط عربى، انتقلت ملكيتها بعد ذلك بقليل إلى مكتبة برلين. (وتقوم مكتبة جامعة توينجن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بالإشراف عليها والعناية بها، وباب الاطلاع عليها مفتوح للطالبيين والراغبين).

وكان المتوقع أن يتمكن شپرنجر بما بين يديه من مصادر كثيرة كثيرة كبيرة، من كتابة سيرة لمحمد لا تدع مجالاً للنقد أو المؤاخذة، ولكن السيرة التى ألفها خيبت الظنون فى أكثر من ناحية ولم ترع شروط التقرير العلمى ومتطلباته. فقد ضلله اتجاهه إلى النظر إلى الإسلام

باعتباره وليد روح عصره، وحمله على التقليل من شأن شخصية النبي ومن أهمية جهوده التاريخية. واستنتج من تقرير هو في ذاته تقرير صحيح، خلاصته أن الأخبار التي وصلتنا عن النبي محمد، مصدرها رجال كانوا يبجلونه، استنتج من ذلك أن «على كاتب السيرة أن يلعب دور محامى الخصم البغيض وأن يستخرج مثالب شخصيته من بين المديح الذى يحيط بها». وانتهز كل فرصة ليلفت النظر إلى نواحي الضعف الإنسانية فى محمد. ولكن سيرة شبرنجر رغم ما فيها من ألوان النقص هذه، تعتبر جهداً مهماً، لا لأنها أثرت على الصورة التى ظل الناس فى البيئات المثقفة فى ألمانيا عشرات السنين يكتفون بها عن الإسلام فحسب، ولكن لأنها تمثل أيضاً محاولة ناجحة - على الأقل من الناحية الشكلية - لصب معلومات مفصلة مستقاة مباشرة من المنايع فى قالب جامع ضخمة ولتقديمها إلى جمهور واسع من القراء. كذلك كان مهتماً بتتبع الأثر العظيم الذى كان للظروف الثقافية النابعة من الإسلام على أوروبا فى العصر الوسيط، وكان حريصاً على فتح أعين مجتمعه عليه وتبنيه إليه. وكان يرى أن الناس «أفردوا لمعرفة الثقافة الكلاسيكية القديمة اهتماماً كبيراً جداً ولمعرفة الشرق اهتماماً صغيراً جداً». وكان علاوة على ذلك يريد «تحت تأثير فلسفة عقلية للتاريخ أن يتبين قوانين تاريخية عامة وأن يفرق بين العوامل الثابتة والعوامل المتغيرة فى التاريخ»، وكان يعلن فخوراً أنه بالسعى إلى هذا الهدف ينضم إلى مدرسة ابن خلدون.

الفريد فون كريمر وتيودور نولدكه ويوليوس فيلهاوزن

إذا كان لنا أن نقول عن شبرنجر أنه تأمل فى الإسلام من أوجه نظر تاريخ الثقافة خاصة، فإن هذا القول ينطبق بالأحرى على مواطنه

النمساوي ألفريد فون كريمر (١٨٢٨ - ١٨٨٩). قام ألفريد كريمر خلال عمله في السلك القنصلي وخلال الاستعداد له برحلات كثيرة إلى تركيا وسوريا ومصر وعرف الشرق هو أيضاً معرفة دقيقة عن روية بالعين. ويبدو أن الخبرة العملية بالشرق أيقظت في نَفْسَيْ شِبرنجر وكريمر الحاجة إلى تتبع جهود الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط التي ما زالت موجودة في الشرق المعاصر مضمحلة حقاً، ولكن واضحة أمام النظرة المتعرفة، في كثير من جوانبها، وإلى كشف خطوط الصلة التي تؤدي إلى عالم الغرب. يذكر ألفريد فون كريمر عن نفسه أنه تعلم كيف يفهم «أن الإسلام في العصر الحاضر لا يمكن الحكم عليه حكماً صائباً إلا إذا ربط بمجموع التاريخ الثقافي للشعب العربي، ذلك التاريخ الثقافي الذي نرى آخر صورة من صور تطوره في الشرق الحديث». ولم يرد «البقاء في الدائرة الضيقة للثقافة العربية حتى لا يأخذ طائفة من الأفكار والتطورات على أنها عامة شاملة، وهي في حقيقتها مقصورة على جزء صغير من الإنسانية». فقد برز في وجدانه في أثناء دراساته الاقتناع الملح، بأن «هناك في الإسلام كذلك آراء مهيمنة يمكن التعرف عليها بكل تأكيد، أثرت على تاريخ الأمم تأثيراً هائلاً».

وظهرت العيئة الأولى من حصيلة اشتغال كريمر بالمسائل المتصلة بتاريخ الثقافة وعلم الاجتماع في عام ١٨٥٩، متمثلة في دراسة مستفيضة عن «ابن خلدون وتاريخه الثقافي للدول الإسلامية». وتوالت ذلك في الأعوام ١٨٦٨ و ١٨٧٥ و ١٨٧٧ أعماله الرئيسية في تاريخ الثقافة: «تاريخ الأفكار السائدة في الإسلام. مفهوم الله، النبوة، فكرة الدولة»، ثم كتاب «تاريخ ثقافة الشرق تحت حكم الخلفاء» في مجلدين. وقد وجه

البعض إلى «تاريخ الأفكار السائدة» نقداً يتلخص في أنه أسرف في تضييق إطار النظرة الشاملة لتطور الثقافة الإسلامية في مجموعها، وفي أنه معيب من ناحية الخطة. ولكن الكتاب في مجموعه يُعدُّ جهداً عظيماً، ويعج بالملاحظات الهامة والأحكام الصائبة على أشكال التنظيم في الدولة وعلى تطور الدين الإسلامي، والتصوف الإسلامي الذي لا يغفله بل يوليه ما يستحق من التكريم. ويتم استعراض هذه الأمور كلها من مرصد الحاضر، لهذا تلوح بعض مراحل التطور القديمة أحياناً مسرفة في القصر إذا ما أحاطت بها نظرة شاملة. ويعالج الجزء الأول من كتاب «تاريخ ثقافة الشرق تحت حكم الخلفاء» نظم الدولة تحت العناوين الآتية: نشأة الخلافة، حياة المدينة، نظام الدولة في العصر القبلي، دمشق وبلاد الأمويين، توطيد كيان الدولة، الحرب، المالية، البنيان العضوي للدولة، القضاء. أما الجزء الثاني فيضم الفصول الثقافية الآتية: مدينة السلام (بغداد)، الزواج والأسرة، الشعب، الطبقات وحياتها، الخلق الشعبي، التجارة والحرف، الشعر، العلم والأدب، أسباب التدهور. والكتاب مكتوب بطريقة سلسلة، ويضم كثيراً من النصوص المستمدة من المصادر المناسبة والتي تجعل القراءة مسلية حقاً.

يأتي تيودور نولدكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠) في هذا الموضع حسب الترتيب الزمني. لم يكن لنولدكه ما لرجال غيره مثل شبرنجر وكريمر من موهبة التأمل الفلسفي، بل كان يهتم أول ما يهتم بفهم الوقائع وتحليلها، وقد ذكر عن نفسه أنه يتبع المدرسة العقلية، ويصح أن نقول عنه: إنه كان يتبع الوضعية. وهو في كل نشرياته يعالج الأمور كلها على نحو موضوعي خالص يلتزمه أشد الالتزام، ويعبر عما يريد بعبارات واضحة، وإذا حدث بشيء صدق وأخلص. فإذا صادف أمراً لم يكن متأكدًا منه، أبان عن

ذلك، أو تركه كليةً دون أن يقول فيه رأياً. فما ضل قط من انضوى لقيادته العلمية.

ونشرياتة الكثيرة لا تمس تاريخ الإسلام إلا فى جزء قليل منها هو الذى يعنينا هنا. فقد اضطلع بالجزء الخاص بالساسانيين عند إخراج طبعة ليدين النموذجية لتاريخ الطبرى، وكان الوحيد بين المشتركين فى هذا العمل الجماعى العظيم الذى أتبع جزءه بترجمة ألمانية هى (تاريخ الفرس والعرب فى عصر الساسانيين، عام ١٨٧٩) كذلك نشر فى الكتاب الجامع المسمى «صور شرقية» (١٨٩٢) مقالتين، واحدة عن الخليفة المنصور والأخرى عن ثورة العبيد فى السنوات من ٨٦٩ إلى ٨٨٢. أما كتابه الصغير «حياة محمد، عرض مبسط لها مستمد من المصادر» (١٨٦٣) فيتميز بحكم موضوعى هادئ على شخصية النبى العريبى، تلك الشخصية التى تلوح للمتبع مذهب العقلية ذات ألفاز على نحو خاص. ويتميز علاوة على ذلك بأنه مثل نموذجى لما ينبغى أن يكون عليه عرض تاريخى علمى معتمد على المصادر وفى متناول فهم عامة القراء. على أن أهم كتاب لتولدكه فى ميدان البحث فى الدراسات الإسلامية هو بلا شك كتابه «تاريخ القرآن» الذى يدور حول موضوع كان قد نوّه إليه فى رسالة الدكتوراه، تلك التى حصل بها على جائزة، ثم تناوله مرة أخرى بنجاح لنيل جائزة أعلن عنها «مجمع الكتابات والآداب» فى باريس. وفى عام ١٨٦٠ ظهر الكتاب فى صيفته الألمانية، ثم ظهرت الطبعة الثانية منها وقد زيدت إلى ثلاثة مجلدات فى عام ١٩٠٩ و ١٩١٩ و ١٩٢٨، ونهض بتعديل الجزئين الأولين المستشرق فريدريش شفاللى، فلما مات قام جوتهلف برجشتريسر بالعمل فى الجزء الثالث، ولكنه مات قبل أن يفرغ منه، فأكماله أوتو پرتسل وأخرجه (تاريخ نص القرآن).

وبهذا تم الكتاب. ولقد أصبح «تاريخ القرآن» منذ زمن طويل كتاباً أساسياً من كتب هذا الفرع من التخصص، ولا يحتاج لتبجيل أو تكريم أكثر من هذا. ولقد لقي تقسيم نولدكه (متأثراً جوستاف فايل) لسور القرآن زمنياً إلى ثلاث فترات مكية وفترة مدنية استحساناً عاماً. ولا تمس الشكوك التي أثارها ريتشارد بل («مقدمة القرآن» ١٩٥٢) ضد هذا التقسيم، بوصفه تقسيماً. ويحدد الكتاب ميزات كل مجموعة من مجموعات السور من ناحية الأسلوب والمضمون تحديداً ممتازاً. ويعطى المجلد الثاني من الكتاب كل ما يتطلبه الباحث من مؤلف علمي بهذا الحجم في موضوع جمع القرآن والمسائل المتصلة بذلك. وينطبق هذا الكلام أيضاً على المجلد الثالث الذي يعالج تاريخ النص القرآني. وعلى من يريد الاشتغال علمياً بالقرآن على أي نحو، أن يعتمد كتاب نولدكه «تاريخ القرآن»، ذلك الكتاب الذي سيظل حافظاً لقيمته على مرّ الأيام. ويكتمل هذا الكتاب بتكملة قيمة من إنشاء نولدكه هي دراسته «في لغة القرآن» (التي نشرت في مجموعة «مقالات جديدة في علم اللغات السامية» ١٩١٠) التي تضم الأجزاء الآتية: «القرآن والعربية»، «خصائص أسلوبية وخصائص تكوين الجمل في لغة القرآن» و«كلمات أجنبية مستعملة عن عمد وغير عمد في القرآن».

أما يوليوس فيلهاوزن (١٨٤٤ - ١٩١٨) فقد صنع لنفسه اسماً في علوم التوراة بنقد لأسفار التوراة الخمسة، قبل أن يوجه اهتمامه التاريخي وجهده المثمر إلى عالم الإسلام المبكر والعروبة القديمة. فتنشر «محمد في المدينة أو كتاب المغازي للواقدي في ترجمة الألمانية ملخصة» (١٨٨٢) الذي عرّف العلم المتخصص بكتاب هام لم يكن يعرفه إلا من طبعة أ. فون كريمر بقدر الثلث وعلى نحو معيب. ولا شك أن هذه

الترجمة الألمانية الملخصة ستظل تستعمل في المستقبل كثيرًا، حتى بعد أن يظهر النص الكامل قريبًا في طبعة محققة يصح الإسناد إليها. على أن طريقة فيلهاوزن المميزة له في العمل والتي تربط ربطًا منسجمًا بين تحليل ونقد المصادر وبين التركيب التاريخي العظيم، لم تبدأ في الظهور إلا في الكتب التالية: «آثار من الجاهلية العربية» (١٨٨٧، الطبعة الثانية ١٨٩٧)، وفي الوقت نفسه إعادة بناء لكتاب الأصنام لابن الكلبي، ثم كتاب «المدينة قبل الإسلام» و«تنظيم محمد للجماعة في المدينة» و«كتب محمد والسفارات التي وجهت إليه» (١٨٨٩) و«مقدمة للتاريخ الإسلامي الأقدم» (١٨٨٩). أما دراسته المقدّمة لأكاديمية جوتنجن المسماة «أحزاب المعارضة الدينية السياسية في عصور الإسلام القديمة» (١٩٠١) فتظهر لنا فيها خاصة طائفة الخوارج، أولئك المتعصبين للديمقراطية الراديكالية المسرفة في عصور الإسلام المبكرة، حية أمام أعيننا، تثير الفزع فينا والإعجاب في وقت معًا، حتى يكاد الإنسان يقول: إن فيلهاوزن أدركهم ومال إلى صفهم، وما حديثه إلا استقاء من المصادر وإعادة بناء لمادتها بفهم حاد صائب. وكتاب فيلهاوزن «الدولة العربية وسقوطها» (١٩٠٢) كتاب هائل من الناحية العلمية ومن الناحية الفنية، وعمل يعتمد على تحليل نقدي للمصادر المتمثلة في الفقرات المطلوبة من تاريخ الطبري، وعرض للتاريخ السياسي للإسلام حتى سقوط الأسرة الأموية يأخذ بمجامع قلوب القراء. ولو اقتصر ما وصلنا من إنشائه على هذا الكتاب وحده، لحق علينا أن نعدّه من أجله أهم مؤرخ كتب عن تاريخ الإسلام إطلاقًا. كان فيلهاوزن، كما قال كارل هاينريش بيكر في ذكره فأصاب: لا يتجه إلى المادة بالتساؤلات، ولكنه كان يدع التساؤلات تفرض نفسها من روح

المصدر نفسه: وكان يفوق كل من سبقوه في أنه يرى المصدر بوصفه كلاً متكاملًا، ولذلك وقف حيال المدونات الفنية عظيمًا رفيغًا. وكان في إحساسه بأنه ينبغي تجديد كل شيء من أساسه، لا يجد ضرورة ملحة في الإحاطة بكل شيء علمًا وفي مناقشته وتمحيصه. ومن البديهي أن فيلهاوزن لم يقل في الأمور كلها الكلمة الأخيرة، وقد تعرض النقد الذي وجهه إلى تصوير أهل البلاد لطريقة فرض الضرائب، تعرض حديثًا للشك وبحق. ولكن «الدولة العربية وسقوطها» كتاب سيظل مع هذا - حتى إذا ظهرت به أخطاء أخرى من هذا القبيل - تحفة رائعة.

استقلال علم الدراسات الإسلامية على يد

مارتن هارتمن وكارل هاينرش بيكر

يشعر المرء دائمًا في محاولته تقدير جهود الاستشراق الألماني منذ عهد تيودور نولدكه، بأن العلماء الألمان الذين عملوا في هذا الصعيد لم يكونوا قط مستقلين استقلالاً ذاتيًا وبأن أمرهم في هذا يشبه أمر أقرانهم من الأمم الأخرى. ذلك أن الاستشراق مسألة عالمية، مسألة تهم أوروبا بأسرها. لهذا كان من التعسف حيال الموضوع، أن يظن المرء أن في إمكانه أن يعالج جهود الألمان على أنها مطلقة، وأن يفصلها عن ارتباطها بالأوشاج والأريطة العالمية. فإن جهود الألمان ليست في الحقيقة إلا سهمًا، مهما ارتفع الإنسان في تقديرها وعلا من ناحية الكيف. ونحن - معشر المستشرقين الألمان - نتبع بصفقتنا هذه جماعة كبيرة ونعلم أننا لا نقوم إلا بها. وإذا أخذنا في اعتبارنا أن مجال البحث الذي يفتحه الاستشراق مجال فسيح كثير الجوانب، تبين أن العاملين به فعلاً قليلون عددًا. وهذا وحده يكفى سببًا لكى يتجمعوا ويتعاونوا

ويتجنبوا ازدواج العمل ما أمكن ذلك حسب ما يقضى به اقتصاد القوى. وكثيراً ما يكون للمستشرق الفرد بزملائه الأجانب علاقات أوثق من علاقاته بالمستشرقين من أهل بلده، ويعرف كيف يقدر شاكراً ما يأتيه التبادل معهم من تشجيع علمي ونفع.

هذا ما ينبغي أن نفكر فيه عندما نتعرض فيما يلي لاثنين من المستشرقين من غير الألمان، هما: إجناتس جولدتسيهر وكرستيان سنوك هورجرونيه، أثرا في تطور الاستشراق الألماني تأثيراً كبيراً جداً، حتى إنه لا يمكن تصوّر تاريخه بدونهما.

إجناتس جولدتسيهر (١٨٥٠ - ١٩٢١) يهودى مجرى درس في برلين ولايبنتسج وحصل على الدكتوراه في لايبنتسج على يد فلايشر، ثم اتجه إلى الدراسات الإسلامية بمجالها الواسع الشامل، وخص ببحوثه النقدية تاريخ الشريعة الإسلامية ونشأة الحديث وتطوره خاصة. في كتابه «الظاهرين .. مذهبهم وتاريخهم». (١٨٨٤) أنشأ مدخلاً إلى طريقة دراسة علم الشريعة الإسلامية معتمداً مثال مدرسة واحدة من مدارسها. والمجلد الأول من كتابه «دراسات إسلامية» (١٨٨٩ - ١٨٩٠) يضم بحوثاً مختلفة تتصل بالعروبة وعلاقتها بالدين الإسلامى، والمجلد الثانى يضم بحثاً هاماً عن تطوّر الحديث، وبحثاً آخر عن تبجيل الأولياء في الإسلام. ويشك جولدتسيهر بأبحاثه النقدية في القيمة الخيرية الأولية للحديث أساساً، ولكنه يرفع قيمته الخيرية الثانوية بوصفه شاهداً على التطوّر الدينى والاجتماعى للإسلام في القرنين الأولين لوجوده بقدر تشككه الأول. وتعالج مجموعته «محاضرات عن الإسلام» (١٩١٠، الطبعة الثانية ١٩٢٥) الموضوعات الآتية: محمد والإسلام، تطور القانون، النسكية والصوفية، الطوائف، تشكيلات متأخرة. وينبغى أن نشير بعد هذا إلى

إخراجه وإعداده لكتاب الغزالي «فضائح الباطنية» (١٩١٦) وإلى كتابه العظيم الأخير «اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين» (١٩٢٠). هذه الكتب كلها تدخل في عداد المؤلفات التي لا غنى لمكتبة الدراسات الإسلامية عنها إلى اليوم.

وبينما كان جولدتسيهر عالماً نظرياً بحثاً، وكان في أبحاثه يستند إلى ذاكرة فائقة، ويسير حسب مصادر مناسبة فحسب، منتقلاً من استشهاد إلى استشهاد، كان زميله في الاستشراق وصديقه العالم الهولندي كرستيان سنوك هورجرونييه (١٨٥٧ - ١٩٢٦) رجلاً يستند إلى خبرته العملية بالشرق. وقد قام في رسالته «العيد المكي» (١٨٨٠) - تلك الرسالة التي لم تفقد قيمتها إلى اليوم - بفحص ناقد للتصريحات القرآنية الخاصة بإبراهيم واعتباره الأب الأول للإسلام ومنشئ الكعبة. وقد أقام كرستيان سنوك هورجرونييه - استعداداً للعمل في خدمة الاستعمار - نصف عام متخفياً، ١٨٨٥، بين المسلمين في مكة، ووضع في كتابه «مكة» الذي أصدره باللغة الألمانية في جزئين (١٨٨٨ - ١٨٨٩) النتائج العلمية لمهمته القريدة تلك. وشغل بعد ذلك مناصب قيادية في السلطة الاستعمارية الهولندية الهندية، وأوتى بذلك فيما أوتى فرصة معرفة العرف السائر بين المسلمين هناك معرفة وثيقة. وتتضمن مقالاته «الصفيرة» - التي تعالج موضوعات متنوعة من بينها ما يتخذ شكل مناقشات نقدية للكتب - مادة قيّمة في الدراسات الإسلامية، وقد نشرت هذه المقالات الصغيرة بعناية أ. ي. هتسنك ١٩٢٢ - ١٩٢٧ في ستة ثم سبعة مجلدات. ولسنوك هورجرونييه مقال واره النسيان وإن ظل جديراً بالاهتمام، مقال عن الإسلام اشترك به في الطبعة الرابعة من كتاب شانتيبي دي لاسوسى المسمى «كتاب تعليم تاريخ الأديان» (١٩٢٥)

وكان كرستيان سنوك هورجرونيه متضلماً من الفقه خاصة، ويجيد تاريخ الشريعة وتاريخ القانون الوضعي جميعاً، وكان نقده الذي كثيراً ما اتسم بالحدةً نقدًا مثمرًا دائماً.

تقدّمت الدراسات الإسلامية في طريق تحولها إلى علم مستقل في الصعيد الناطق بالألمانية تقدماً كبيراً بفضل جولدتسيهر وسنوك هورجرونيه من ناحية وبفضل مبادرة ذاتية من ناحية ثانية. وقد أدى حصول الرايخ الألماني في عامي ١٨٨٥ - ١٨٨٦ على مستعمرات في أفريقيا تضم مناطق بعض سكانها من المسلمين (كانت ألمانيا منذ ذلك الوقت وحتى عام ١٩١٨ تُعدُّ من الدول المستعمرة) إلى إمداد الاشتغال بالإسلام وبالكتب الإسلامية المدوّنة بالعربية بحافز معيّن في ذلك الوقت، فتأسس طبقاً لهذه النظرة معهد اللغات الشرقية في برلين عام ١٨٨٧، وهو معهد كانت مهمته تتلخص في الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية الحالية وبلدان الشرق الأقصى، وعن شعوب هذه البلدان وثقافتها. وقد نشر المعهد في «أخباره» على مرّ السنين والأعوام أعمالاً هامة خاصة بالدراسات الإسلامية. نشر إدوارد زاخاو (١٨٤٥ - ١٩٣٠) الذي قام في عامي ١٨٧٩ - ١٨٨٠ برحلة بحثية إلى سوريا والجزيرة، وفي عامي ١٨٩٧ - ١٨٩٨ برحلة إلى العراق، وكان يشغل منذ عام ١٨٧٦ كرسي الأستاذية بجامعة برلين، نشر بصفته المدير الأول للمعهد «الشرع الإسلامي حسب المذهب الشافعي» (١٨٩٧) ضمن سلسلة الكتب التعليمية التي أصدرها. أما مارتن هارتمن (١٨٥١ - ١٩١٨)، ولا ينبغى الخلط بينه وبين ريشارد هارتمن) الذي كان يقوم بتدريس اللغة العربية في هذا المعهد، فقد بذل جهوداً لإنشاء كرسي أستاذية خاص بالدراسات الإسلامية فلم يوفق، لأن الوقت لم يكن

قد بلغ النضج الكافي لتقبل مثل هذه الدعوة. كذلك لم يجد مارتن هارتمن لاتجاهه الاجتماعى فى البحث من الاهتمام إلا أقله. والسبب يكمن فى شخصيته المتهورة المتفاوتة التى كانت تضلله فى كتاباته وتدفعه إلى التعجل فى اتخاذ رأى على الفور، دون تأنٍ وانتظار على الأفكار حتى تنضج بالفعل وتطرح ثمارها فى أوانها. ولكنه مع هذا يحتفظ بفضل الاهتمام بالاشتغال العلمى بالعالم الإسلامى المعاصر والتأكيد على هذا الاهتمام، ولا شك أنه كان يضعه نصب عينيه، عندما أنشأ بالاشتراك مع مجموعة من المتفقيين معه فى الفكر الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية عام ١٩١٢. وقد نشر العديد من المقالات فى مجلة «عالم الإسلام» التى كان جيورج كامفماير (١٨٦٤ - ١٩٣٦) يخرجها لهذه الجمعية. وقد أسهمت هذه المجلة، التى تسمت منذ عام ١٩٥٩ باسم «سلسلة جديد» فى تزويد الرأى العام المتخصص والرأى العام الواسع بكمية كبيرة من المعلومات القيمة، طوال عشرات السنين، أما كتاب مارتن هارتمن الأخير الذى نشر بعد وفاته فى نشریات الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية فقد كان يدور حول شعراء تركيا الجديدة.

ويسوقنا الحديث إلى كارل هاينرش بيكر (١٨٧٦ - ١٩٣٣) الذى اختير مرة لمنصب وزير الثقافة البروسى، وكان أول من شغل كرسى أستاذية تاريخ ثقافة الشرق، الذى أنشئ عام ١٩٠٨ فى هامبورج عند إنشاء المعهد الاستعمارى هناك. كان بيكر بما تلقى من ثقافة عالماً فى الدراسات السامية والآشورية أصلاً، ولكنه تحول متأثراً بكتابات فيلهلهاوزن وجولدتسيهر وسنوك هورجرونيه إلى البحوث الإسلامية. على أن اهتمامه الأول كان قبل كل شىء آخر يتركز على ميدان تاريخ الثقافة

والدين. ولكن هذا لم يمنع من قيامه ببحوث تناول فيها المسائل الاقتصادية التاريخية. كتب فضلاً عن «توسع العرب» فى «تاريخ كمبرج للعصر الوسيط». والحق أن كارل هاينريش بيكر كان يمكن أن يكون أى شىء آخر إلا أن يكون مهتماً بناحية واحدة فقط من الأمور. كان حتى إذا قام بدراسة جزء، لا يبعد نظره عن الكل. وقد جمع بنفسه كتاباته فى كتاب من جزئين اسمه «دراسات إسلامية» وعنوانه الثانى «فى كيان وتطور العالم الإسلامى» (١٩٢٤ - ١٩٣٢) ويتناول فيه موضوعات تبين عناوينها طريقته فى التفكير مثل: «الإسلام فى إطار تاريخ الثقافة العام»، «الإسلام والاقتصاد»، «المسيحية والإسلام»، ومثل: «الخطوط الأساسية للتطور الاقتصادى بمصر فى القرون الأولى للإسلام»، «نشأة أرض العشر والخراج فى مصر»، «الحكر والإقطاع»، «فى تاريخ الثقافة الإسلامية»، «الجدل المسيحى وتكون العقائد فى الإسلام». والمقالات المجمعة فى المجلد الثانى تتناول تارة «الإسلام فى أفريقيا» (مثلاً: «الإسلام واستعمار أفريقيا»)، وتارة «مشكلات الشرق المعاصر» («الجامعة الإسلامية»، «فكرة الدولة التركية»، «مشكلة الثقافة التركية» وما إلى ذلك). ويرجع إلى بيكر فضل إنشاء المعهد الهامبورجى لتاريخ الشرق وثقافته، ويرجع إليه أيضاً فضل تأسيس مجلة «الإسلام» (١٩١٠) خاصة، تلك المجلة - مجلة تاريخ الشرق الإسلامى وثقافته - التى بلغت أعدادها الآن ٤١ مجلداً، والتى تعتبر أهم أداة نشرية للدراسات الإسلامية فى ألمانيا والتى احتفظت على يد من خلفوا بيكر على كرسى الاستشراق فى هامبورج بمستواها القديم.

المرحلة التالية لتطور الدراسات الإسلامية حتى العقد الرابع من القرن العشرين

ملاحظة تمهيدية

ليس من المألوف في عرض للتطور التاريخي لعلم من العلوم أن يصل إلى الحاضر ويشمله، على أية حال صرف زميلي في التخصص، الأستاذ الهاللي يوهان فوك (ولد عام ١٨٩٤)، في كتابه العظيم الذي صدر عام ١٩٥٥ «الدراسات العربية في أوروبا»^(١) نظره عن ذلك، ووقف بتاريخه عند مشارف القرن العشرين، فلم ينوّه إلى المتخصصين في الدراسات العربية الذين كانوا أحياء أيام تأليفه الكتاب، مثل كارل بروكلمن. وفوك له في هذا التحديد أسبابه الوجيهة، فالمرء لا يحب أن ينصب من نفسه خبيراً يقيّم زملاءه، خاصة وأنه مهما أحسن النية لن يصدر عن أي منهم حكماً عادلاً العدل المطلق.

(١) يسرني أن أقرّ في هذا المقام أنني في عرضي لتاريخ الاستشراق الألماني منذ تولدكه إلى هذا الجزء قد استعملت كتاب فوك كثيراً، وأنتى اتبعته أحياناً حتى في التعبير اتباعاً وثيقاً، دون إشارة إلى ذلك تفصيلاً. وأمل ألا يأخذ على مؤلف الكتاب هذا. كذلك تعلمت وأخذت الكثير من كتاب جوستاف بفانمولر «موجز في المدونات الإسلامية، الصادر في عام (١٩٢٣). (المؤلف)

ولكنى أود أن أخرج فيما يلي على هذه العادة، لأن حديثي يدور حول الوضع الراهن للاستشراق الألماني، أو على الأقل يتخذ له هدفاً. ولهذا بات من الضروري أن يتناول اتجاهات ومنجزات المستشرقين الذين على قيد الحياة الآن. وليست المهمة بطبيعة الحال مهمة إصدار أحكام قيمية أو مهمة عقد امتحان وتقدير درجات. بل المهمة تقتصر على سعيها إلى التعريف الموضوعي ما استطعنا إلى الموضوعية سبيلاً بمختلف النشريات التي شهدتها ميدان الاستشراق.

وهناك صعوبة لا بدّ من أخذها على علّاتها، هذه الصعوبة تتلخص في أنني لن أستطيع الإشارة إلى العاملين في صعيد الاستشراق جميعاً بما يحق جهودهم ومنجزاتهم حقها، وفي أنني في أغلب الأحوال سأقتصر على تشبيهات قصيرة قلت سطحيها أو عظمت، وسأغفل أشياء إما عن جهل بها أو ربما عن سهو. لهذا أرجو زملائي جميعاً الذين سيطلعون على محاولتي هذه بعد تمامها، ويجدون أنني أسأت فيها إليهم، أن يصدقوني في أنني كنت على الأقل حسن النية في حديثي عنهم. أما الشباب من الزملاء الذين يهمني تقديرهم قدر ما يهمني تقدير الشيوخ، والذين يحفلون لأسباب بديهية بالمدح والتقدير، فأرجوهم أن يفكروا في أن عملهم العلمي يحمل قيمته في ذاته، وأن تقديره لا يتم بالضرورة في هذا الكتاب بالإشارة على هذا أو ذاك النحو أو بالسكوت عنه. ولقد كنت وأنا في بداية عهدي بالسلك الجامعي لا أنظر لا إلى يمين ولا إلى شمال، بل أختار الأعمال التي كنت أنا شخصياً أعتبرها صحيحة هامة. وعندى من التفاؤل ما يجعلني أوقن بأن كل مستشرق صاعد ينجز شيئاً بحق سيصيب النجاح في النهاية.

وثمة صعوبة أخرى تتصل بالتحديد الزمني «العقد الرابع» من القرن العشرين، فقد بدا لي محققاً للهدف أن أشير في تقريرى هذا إلى الوقفة التى تعرض لها تطور الاستشراق الألمانى نتيجة لقيام حكم النازية، وأن أنهى بعام ١٩٣٢ مرحلة، لأبدأ مرحلة أخرى. وليس معنى هذا رسم خط قاطع فاصل بين المرحلة قبل هذا العام والمرحلة بعده. فالمستشرقون الذين عبروا هذا الوقت العصيب دون أن يلحق بهم أذى، وكانوا قبل ١٩٣٢ ينشطون فى المهنة وفى النشر، سيتناولهم هذا الفصل أو الفصل التالى الذى ينتهى إلى أيامنا حسب كَوَيْد مركز الثقل فى نشاطهم العلمى يقع بعد ١٩٣٢ أو قبله، أو يتناولهم الفصلان جميعاً.

تاريخ الأدب العربى لبروكلمن ودائرة المعارف الإسلامية

كتاب «تاريخ الأدب العربى» الهائل لكارل بروكلمن (١٨٦٨ - ١٩٥٦) هو فى الحقيقة كتاب أساسى فى الدراسات العربية. وهو لا يقتصر على الأدب العربى وفقه اللغة العربية بالمعنى الضيق، بل يشمل كل ما كتب باللغة العربية من المدونات الإسلامية، ويصبح بهذا عدة دارس العلوم الإسلامية التى لا محيص له عنها. وقد ظهر الجزء الأساسى من الكتاب فى مجلدين عام ١٨٩٨ وعام ١٩٠٢، ثم جاءت فى الأعوام ١٩٣٧ و١٩٣٨ و١٩٤٢ المجلدات التكميلية الثلاثة الكبيرة. وظهر المجلدان الأول والثانى فى عام ١٩٤٣ و١٩٤٩ فى طبعة أخرى بعد تعديلهما ليتناسبا مع المجلدات التكميلية الثلاثة. والكتاب فى مجموعته ليس تاريخاً للأدب بمعنى الكلمة. بل هو سجل للمصنفات العربية كلها سواء المخطوط منها والمطبوع، يكتمل بمعلومات عن حياة المؤلفين. ومادة الكتاب مرتبة زمنياً، ومقسمة إلى أربعة، ثم ستة، أجزاء: أولاً: الأدب القومى العربى

من البداية إلى العصر الأموي. ثانيًا: الأدب الإسلامي باللغة العربية في العصر الكلاسيكي (من حوالي عام ٧٥٠ إلى حوالي ١٠٠٠) والعصر الكلاسيكي المتأخر (من حوالي عام ١٠١٠ إلى حوالي عام ١٢٥٨)، ثالثًا: تدهور الأدب الإسلامي من حكم المغول إلى استيلاء السلطان سليم على مصر في عام ١٥١٧، ومن ذلك التاريخ إلى الحملة النابليونية على مصر في عام ١٧٩٨. ويعالج الجزء الثالث التكميلي، رابعًا: الأدب العربي الحديث فيما يقرب من ٥٠٠ صفحة. وتعقب هذا ٦٠٠ صفحة تقريبًا تضم سجلًا للمؤلفين ولعناوين الكتب. وقد رتب المؤلفون والمصنفات الواردة في الأجزاء الستة حسب المادة وطبقًا لأوجه نظر جغرافية وتاريخية. وقد أنشأ كارل بروكلمن هذا العمل الجدير بالإعجاب بمفرده، ولم يكن هذا الكتاب هو كتابه الوحيد، فقد وهب العلم المتخصص مجموعة بأسرها من المؤلفات الكبيرة ذات الفائدة الجمة. ومن الممكن أن نفهم أن البيانات التي تضمنها «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمن بها هنات في تفصيلاتها. ولكن مثل هذا العمل الضخم ما كان يمكن أن يخرج للوجود أبدًا إذا تحرى طريقة العمل الدقيقة البالغة الدقة، التي كانت تميز مستشرق توينجن القديم وناقد بروكلمن الشديد كرسديان فريدرش زايبولد (١٨٥٩ - ١٩٢١).

ومن البديهي أن تاريخ الأدب العربي لبروكلمن في حاجة دائمة متجددة إلى الإكمال. وقد قام المؤلف نفسه بأول إكمال؛ إذ أضاف إلى كتابه ثلاثة مجلدات تكميلية تضم في مجموعها ٢٦٠٠ صفحة، بعد مرور ٤٠ إلى ٥٠ سنة من ظهوره. وقد مرت منذ ذلك الحين سنوات تزيد على العشرين، تكاملت فيها عناوين مصنفات كثيرة نتيجة لاكتشاف مخطوطات لم تكن معروفة، وظهرت فيها عناوين أخرى لم تكن موجودة

من قبل، وصدرت من بعض المؤلفات طبعات أخرى لا بدّ من الإشارة إليها. وقد قام المستشرق التركي المتخصص في الدراسات العربية فؤاد سزجين، وتلميذ هلموت ريتز، الموجود حالياً في فرنكفورت، بالبحث المنظم في مجموعات المخطوطات العربية سنوات عديدة واكتشف آفاقاً من المخطوطات، والمفروض أن تظهر نتيجة بحوثه في مجلدين باللغة الألمانية، يضافان بوصفهما ملحقين لكتاب بروكلمن. هذا إلى أنه ظهرت في العام الماضي فكرة جميلة، مستقلة عن ذلك، تدور حول إمكانية إعادة نشر الكتاب كله في صورة جديدة تماماً تقوم على أساس من التعاون العالمي، ولكنها للأسف، تأجلت مؤقتاً.

وهناك معين آخر في الدراسات الإسلامية لا يقل أهمية عن «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمن، هو «دائرة المعارف الإسلامية». وتختلف دائرة المعارف الإسلامية عن كتاب بروكلمن في أنها قامت من الأصل على أساس من التعاون العالمي وأنها تمت على مرّ السنين والأعوام. وقد اشترك في التخطيط لها اشتراكاً حاسماً المستشرق سنوك هورجرونييه، وقام على التنفيذ خلفه على كرسى ليدين المستشرق ارنست يان هينسيك (١٨٨٢ - ١٩٣٩)، واشترك لفيف من المستشرقين الألمان في كتابة عدد عظيم من المواد. واشترك في نشر الجزء الأول من الدائرة، الذي تم وظهر عام ١٩١٣، من الجانب الألماني آرتور شاده (١٨٨٣ - ١٩٥٢) وريشارد هرتمن (١٨٨١ - ١٩٦٥). وفي الجزء الثاني الذي ظهر عام ١٩٢٧ هانس باور (١٨٧٨ - ١٩٣٧)، ثم آرتور شاده وفيللي هيفيننج (١٨٩٤ - ١٩٤٤)، واشترك فيللي هيفيننج في مسئولية نشر الجزء الثالث والجزء الرابع والمجلد التكميلي، تلك المجلدات التي جرى العمل فيها في وقت واحد وخرجت في الأعوام ١٩٣٦ و١٩٣٧ و١٩٣٨ على التوالي.

وأعد هيفننج سجلاً عاماً، ولكنه لم ينشر. وظهرت «دائرة المعارف الإسلامية» في المرة الأولى في ثلاث طبعات، طبعة الألمانية، وطبعة إنجليزية، وطبعة فرنسية. وكانت المقالات في غالبيتها بقلم المتخصصين في موضوعاتها، وكانت تترجم من لغتها الأصلية إلى اللغتين الأخرين. وقد بدأ بعد الحرب العالمية الثانية الإعداد لطبعة جديدة من دائرة المعارف يشترك فيها أيضاً لفييف من العلماء الألمان المتخصصين، وبدأت تظهر منذ عام ١٩٥٤، للأسف في طبعتين فقط واحدة إنجليزية والأخرى فرنسية.

محمد والقرآن

تناولت محمداً والقرآن في المنطقة الألمانية في مئة العام الماضية أبحاث وكتابات كثيرة، أشرنا فيما سبق منها إلى طبعة سيرة ابن هشام التي أخرجها فرديناند فوستفيلد (١٨٥٨ - ١٨٦٠) وإلى ترجمة جوستاف هايل لها (١٨٦٤) وأشرنا كذلك إلى طبعة تفسير البيضاوي التي أخرجها هاينرش ليبيرشت فلايشر (١٨٤٦ و ١٨٤٨) وإلى كتاب «تاريخ القرآن» لتيودور نولدكه (الطبعة الأولى عام ١٨٦٠). وفي مطلع القرن العشرين خرج كتاب «طبقات ابن سعد» الذي يُعد مصدراً هاماً للتاريخ الإسلامي المبكر بحافز من إداورد زاخاو ويتعاون من أويجين مينفخ ويوزف هوروفيتس وفريدرش شفاللي وآخرين. وقد اختصت رسالتان من رسائل الدكتوراه تفسير السيرة المحمدية بالدرس: رسالة ب. برونله «مفسرو ابن إسحق وحواشيهم» (١٨٩٥) ورسالة أرتور شاده (١٨٨٣ - ١٩٥٢) «تفسيرات سهيلي وأبي در لقصائد أحد في سيرة ابن هشام» (١٩٢٠). وأنشأ هويرت جريمه (١٨٦٤ - ١٩٤٢) كتاباً من جزئين «محمد»، تحدث

فيه عن حياة النبي العربي وعمله. ولكن حكمه كان خاطئاً، فقد اعتبر محمداً مصلحاً اشتراكياً أولاً وقبل كل شيء آخر. على أن عرضه المنظم للفقہ الإسلامی القرآنی فی المجلد الثانی من الكتاب، عرض قيم لا نزال نجد فيه نفعاً. ويختلف كل ما كتبه يوزف هوروفيتس (١٨٧٤ - ١٩٣١) عن محمد والقرآن والتاريخ الإسلامی المبكر اختلافًا بيناً عن آراء جريمه المتطرفة أحياناً، فهوروفيتس يزن الأمور بميزان النقد والحرص، ويكتسب بهذا ثقة لكتابه. وتحتوى «بحوثه القرآنية» على طائفة كبيرة من الملاحظات والمعلومات الصائبة. والجزء الأول منها يعالج النصوص القصصية فى القرآن (ويقسّم كلامه إلى: عموميات وشكليات. أساطير رادعة. قصص الأنبياء والصالحين. النبوة فى القرآن) ويعالج الجزء الثانى الأسماء الأعلام فى القرآن. وقد نشر مقالاً بعنوان «الأسماء الأعلام اليهودية فى القرآن مشتقاتها» فى مجلة كلية الاتحاد العبرى، المجلد الثانى، (١٩٢٥، وأعيد طبعه عام ١٩٦٤)، يحتوى على إضافات هامة تكمل هذا الجزء الثانى من كتابه.

وقد عالج نفر من تلاميذ هوروفيتس فى رسائلهم موضوعات قرآنية وموضوعات تتصل بالتاريخ الإسلامى المبكر، أنشأ يوهان فوك (١٨٩٤): «محمد بن إسحق. دراسات فى تاريخ الأدب»، وهى رسالة فيها عيوب تتصل بالنقل من المخطوطات ولكنها سليمة من ناحية المادة، ونشر يوزف س. ريفلين «القانون فى القرآن والعبادات والشعائر» عام ١٩٣٤.... وقد أشار ريفلين فى مقدمة بحثه إلى عمليتين: «يسوع فى القرآن» نسبة إلى ل. بخمن، و«الصلاة فى القرآن» نسبة إلى ف. جويتاين، وهما بحثان من بحوث مدرسة هوروفيتس، يبدو أنهما لم يطبعوا.

ويجدر بنا في هذا الموضوع أن نذكر كتابين عن النبي العربي، يختلفان في وجهتهما عن كتاب آرنس^(١)، أنشأهما كاتبان مستشرقان اسكندنافيان، ولكنهما ظهرا في ترجمتين ألمانيتين جعلتا لهما جمهوراً كبيراً من القراء الألمان، كتاب فرانتس بُول «حياة محمد»، ترجمة هانس هاينرش شيدر (١٩٣٠) وكتاب تور أندريه «محمد. حياته ودينه» (١٩٣٢). هما كتابان على مستوى علمي رفيع ولا يعلو عليهما في بابهما كتاب آخر. ويتميز كتاب فرانتس بُول بموضوعيته الهادئة، وكتاب تور أندريه بمعالجة واعية للموضوعات الدينية السيكلوجية.

أما موضوع القرآن خاصة فقد عالجه في السنوات الأخيرة جوتلهف برجشتريسر (١٨٨٦ - ١٩٣٣) وتلميذه وخلفه أوتو پرتسل (١٨٩٢ - ١٩٤١): برجشتريسر حصل على الدكتوراه على يد أوجست فيشر بناء على رسالته «أدوات النفي والاستفهام وما إليها في القرآن» (١٩١٤)، ونهض بعد وفاة فريدرش شفاللي باستكمال تعديل كتاب نولدكه «تاريخ النص القرآني»، وبإعادة كتابة الجزء الثالث من الكتاب على نحو جديد تماماً، ومات قبل أن ينشره فنشره پرتسل. وقد تناول في مقالات له نشرت بالمجلات أو قدمت للمجامع موضوعات مثل: «قراءة الحسن البصرى» (١٩٢٦) قراءة القرآن في القاهرة (١٩٣٢ و ١٩٣٣) والقراءات الشاذة في كتاب المحتسب لابن جنى (١٩٣٣). كذلك نشر طبعة كتاب ابن خالويه «مختصر شواذ القراءات» (١٩٣٤) و«طبقات القراء» لابن الجزرى (١٩٣٥)، بفهارس من إعداد پرتسل) وقد تحدث برجشتريسر في منشورات مجمع العلوم البافارى عن «خطة لوضع هوامش نقدية للقرآن»

(١) «محمد، صاحب دين»، لكارل آرنس (١٩٣٥).

(١٩٣٠)، تضم القراءات المختلفة، لا على أساس كتب القراءات، بل على أساس أقدم المخطوطات القرآنية. وقد تابع أوتو پرتسل، بعد وفاة برجشتريسر، خطة الهوامش النقدية وتحدث عنها بالتفصيل فيما أسماه بـ «علم القراءات» بمجلة «إسلاميكا» في ذلك الوقت (١٩٣٤). وجمعت المخطوطات القديمة التي أمكن الوصول إليها مصورة على أفلام نيجاتيف، جمعاً منظماً في أرشيف، ولكن الأفلام التي جمعت ضاعت في الحرب العالمية الثانية، وصرف النظر عن الموضوع.

التاريخ الثقافي والتاريخ السياسي

في الكتاب الذي أصدره فيلهلم أونكن بعنوان «التاريخ العام في بحوث منفصلة» ظهر في عامي ١٨٨٥ و ١٨٨٧ الجزآن المسميان «الإسلام في الشرق والغرب» تأليف أوجست موللر (١٨٤٨ - ١٨٩٢)، واللذان يعتبران حتى الآن المؤلفَ الشامل المفصل الوحيد الذي عالج التاريخ السياسي للإسلام. ولكن المطلع عليه يلاحظ عليه أنه كتاب ألف وفاءً لطلب، فهناك أجزاء هامة تفتقر إلى الإعداد الأول والدراسة التمهيدية. وما كان يمكن لشخص واحد أن يدرس المادة الهائلة الدراسة الكافية وقيمها ليكون منها عرضاً تاريخياً شاملاً، وما كان للتأملات، مهما بلغت من طرفية الصياغة، أن تملأ ما بالكتاب من الفراغات. لهذا لقي كتاب كارل بروكلمن (١٨٦٨ - ١٩٥٦) «تاريخ الشعوب والدول الإسلامية» عندما صدر عام ١٩٢٩ الترحيب من كل جهة (صدرت منه طبعة ثانية عام ١٩٤٢)، ويصل كارل بروكلمن في كتابه هذا إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى فيشمئها أيضاً، ولكنه عموماً على حد اعتراف المؤلف نفسه «لا يزال من الأمور الشديدة المخاطرة اليوم أن يكتب الإنسان

تاريخاً للشعوب والدول الإسلامية من البداية حتى العصر الحاضر، لأن المصادر اللازمة لعرض من هذا النوع لم تنشر بعد كلها، فضلاً عن معالجتها معالجة نقدية». ويستعرض بروكلمن كمية ضخمة هائلة من الوقائع مما يجعل القراءة متعبة مملة.

أما كتاب آدم ميتس (١٨٦٩ - ١٩١٧) «عصر النهضة في الإسلام» الذي نشره بعد موت مؤلفه هرمن ركندورف، فكتاب من نوع آخر يختلف عن نوع كتابي أوجست مولر وكارل بروكلمن، فهو عرض للثقافة الإسلامية في القرن العاشر الميلادي، يدع فيه المؤلف المصادر نفسها تتحدث ويعرف كيف يضم المعلومات التفصيلية الكثيرة التي يوردها بنظام ويصيفها في جمل موجزة سائفة للقارئ، ويبدأ بالحديث عن «الدولة» و«الخلفاء» و«الأمراء» و«المسيحيين واليهود» و«الشيعة» و«الإدارة» و«الوزراء» و«المالية» ثم ينتقل إلى الحديث عن موضوعات أخرى تدل عليها عناوين الأبواب الآتية: «الأشراف»، «العبيد»، «العلماء»، «الفقه»، «القاضي»، «الأدب»، «الدين»، «الأخلاق»، «الرزق»، و«المدن»، «الأعياد»، «إنتاج البضائع»، «الصناعة»، «التجارة»، «الملاحة النهرية»، «النقل البري»، «الملاحة البحرية». ولكن عنوان الكتاب لم يُختَر اختياراً موفقاً، والمقصود منه أن المجتمع الإسلامي في القرن العاشر أحدث نهضة في بعض العناصر الثقافية التي عرفت في العصر قبل الإسلامي، وخاصة الهلينية منها.

وقد نشط في قطاع التاريخ مستشرق آخر هو «ريشارد هرتمن» (١٨٨١ - ١٩٦٥) وتمثل نشاطه خاصة في مؤلفاته: «فلسطين تحت حكم العرب - ٦٣٢ - ١٥١٦» (١٩١٥) و«المقتطفة التوينجنية من تاريخ ابن طولون» (١٩٢٦)، «في التاريخ الأول للخلافة العباسية الظاهرية

بالقاهرة» (١٩٥٠). وله تحليلان طريفان تعرض بهما لعالم الإسلام اليوم: «عالم الإسلام قديماً وحديثاً» (١٩٢٧) و«أزمة الإسلام» (١٩٢٨)، وينبغي أن نشير من بين مؤلفاته الأخرى إلى كتابه «دين الإسلام. مدخل» (١٩٤٤) بصفة خاصة. وهناك في قطاع التاريخ أيضاً مؤلفات طريفة لجيورج ياكوب (١٨٦٢ - ١٩٣٧) تشير إليها في هذا المقام، عالج فيها العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى: «التجارة الاسكندنافية البلطيقية للعرب في العصور الوسطى» (١٨٨٧)، «عربى من القرن العاشر يصف فولدا وشلزفيج وزوست وياديورن ومدائن أخرى في الغرب» (الطبعة الثالثة ١٨٩٦)، «تقارير عربية لمبعوثين إلى دواوين أمراء جرمان من القرنين التاسع والعاشر» (١٩٢٧)، «تأثير الشرق على الغرب أثناء العصر الوسيط خاصة» (١٩٢٤). أما فالتر بيوركمن (١٨٩٦) فقد يسر استعمال صبح الأعشى للقلقشندى، ذلك الكتاب الضخم الذي يقع في ١٤ جزءاً، بملخص أعدّه باللغة الألمانية أسماء «فصول في تاريخ ديوان الإنشاء بمصر الإسلامية» (١٩٢٨). واشترك پاول كاله (١٨٧٥ - ١٩٦٤) و م. زويرنهايم (١٨٧٢ - ١٩٣٣) ومحمد مصطفى في إخراج الأجزاء الأخيرة من تاريخ ابن إياس بين عام ١٩٣١ و ١٩٤٥، وهو كتاب مهم في تاريخ مصر في العصر الوسيط المتأخر (وزودته المستشرقة أنيمارى شيمل بمجلد فهارس). ونشر إريش طويف في عام ١٩٢٩ دراسة تفصيلية خاصة «تكوينات البلدان في الأجزاء العربية من تركيا منذ الحرب العالمية، طبقاً لنشأتها وأهميتها وقدرتها على الحياة».

وفي ميدان التاريخ التركي العثماني صنع فرنيس بايبنجر (١٨٩١) له اسماً، وهو عالم متضلع من مادته، بنشراته العديدة التي أهمها الكتابان

المهمان المفصلان: «مؤرخو العثمانيين وأعمالهم» (١٩٢٧) وهو كتاب أساسى فى هذا الميدان، و«محمد الفاتح وعصره» (١٩٥٣). ومن بين مقالاته القصيرة مقال مفيد جداً نشر ببعض المجلات هو «الإسلام فى آسيا الصغرى» (١٩٢٢). أما كتابا رودلف تشودى (١٨٨٤ - ١٩٦٠) «الخلافة» (١٩٢٦) و«الدولة العثمانية القديمة» (١٩٢٦) فيستحقان التنويه رغم تواضع حجميهما. ولا يتسع المقام للإشارة إلى النشريات الكثيرة التى ظهرت فى العشرينيات والثلاثينيات عن تاريخ تركيا الحديثة.

أصول الدين . تاريخ العقيدة . تاريخ الفرق . تدين وتصوف

المؤلفات التى أخرجتها المطابع فى السنوات الماضية خاصة بالحياة الدينية، التى هى الميدان الأوسط لظاهرة الإسلام كثيرة كثرة لا يمكن معها الحديث إلا عن طائفة من بينها فقط.

ظهرت مجموعات من النصوص الدينية المستقاة من المصادر مترجمة إلى اللغة الألمانية، منها كتاب يوزف هيل (١٨٧٥ - ١٩٥٠) المسمى «من محمد إلى الغزالي» (١٩٢٣) وكتاب يوزف شاخت (١٩٠٢) «الإسلام والقرآن» (١٩٣١) الذى ظهر ضمن الطبعة الثانية للمطالعة فى تاريخ الأديان التى نشرها ألفريد برتوليت. وقد ظهر حديثاً (١٩٦٢) كتاب «عقائد الإسلام» من تأليف هرْمَن شتيجليكر (١٨٨٥) وهو عالم نمساوى فى اللاهوت، يتحدث فيما يزيد على ٨٠٠ صفحة عن أصول الدين الإسلامى الحنيف حديثاً يشمل أفرعه المتشعبة، وينتهج أسلوباً مدرسياً منظمًا صرفاً، دون أن يتعرض للمادة من أوجه نظر تاريخية مما يسهل على القراء فهمها. وهناك من تأليف هلموت ريتز (١٨٩٢) «دراسة

في تاريخ التدين الإسلامي» تضم إشادة مفصلة بالحسن البصرى (١٩٣٣)، وكتاب الغزالي «كيمياء السعادة». مترجم من مختارات عن المصادر الفارسية والعربية» (١٩٢٣) الذي يعتبر مدخلاً ممتازاً إلى أعمال الفقه الإسلامي العظيم. وقد أخرج هانس باور (١٨٧٨ - ١٩٢٧) أجزاء من مصنف الغزالي «إحياء علوم الدين» مترجمة إلى الألمانية ومشروحة، وهي الكتاب الثاني وأسماء «قواعد العقائد عند الغزالي» (١٩١٢) والكتاب السابع والثلاثون وأسماء «النية والإخلاص والصدق» (١٩١٦) والكتاب الثاني عشر «النكاح» (١٩١٧) والكتاب الرابع عشر «الحلال والحرام» (١٩٢٢). وقام تلميذه وخلفه هانس فير (١٩٠٩) بمتابعة السلسلة فأخرج ترجمة وشرحاً للكتاب الخامس والثلاثين من مؤلف الغزالي باسم «كتاب الغزالي في الثقة بالله» (١٩٤٠). وهناك كتاب في مجلدين من تأليف ماكس هورتن (١٨٧٤ - ١٩٤٥) عن «عالم الأفكار الدينية لدى المسلمين المثقفين في الوقت الحاضر» (١٩١٦) و«عالم الأفكار الدينية لدى عامة المسلمين في الوقت الحاضر» (١٩١٧).

وقد أخرج المستشرق هلموت ريتز الذي نوهنا إليه من قبل كتاباً هاماً عن تاريخ الفرق الإسلامية. وهلموت ريتز واحد من أهم القائمين بالدراسات الإسلامية ومن أوفرهم إنتاجاً. أما كتابه الذي نغنيه فهو طبعة «مقالات الإسلاميين» للأشعري (ظهر في جزعين عامي ١٩٢٩ و١٩٣٠ ومعه فهرس، وهي المجلدات رقم ١ «أ» و١ «ب» و١ «ج»، من سلسلة المكتبة الإسلامية - البيبليوتيكيا إسلاميكا - التي يخرجها ه. ريتز بتكليف من الجمعية الشرقية الألمانية). وقد أمكن بفضل الاستناد إلى التقرير الموضوعي للأشعري تتبع خطوط تطور تاريخ العقيدة

الإسلامية في العصر المبكر تتبعاً تفصيلياً. كذلك أخرج ريتز كتاب «فرق الشيعة» للحسن بن موسى النوبختي أو على الأصح لأبي القاسم سعد بن عبد الله الأشعري القومى (المجلد رقم ٤ من المكتبة الإسلامية، ١٩٢١). أما رودلف شتروتمن (١٨٧٧ - ١٩٦٠) فقد تعمق دراسة الفرق الإسلامية خاصة إلى أبعد حد، وخص بمقاله الأولين الرائعين فرقة الزيديين الموجودة باليمن للآن: «مدونات الزيديين» (١٩١٠/١٩١١) «دستور الزيديين» و«شعائر الزيديين» (١٩١٢). ثم أتبعهما سلسلة طويلة من الأبحاث ومن الطبقات خاصة لنصوص من دائرة الشيعة الاثنا عشريين والسبعيين والنصيريين والفرق الأخرى، وتحليلات لها. نذكر منها «بيان مذهب الباطنية ويطالانه» من كتاب «قواعد عقائد آل محمد» لمحمد بن الحسن الديلمي (١٩٢٩) و«نصوص العلم الروحاني عند الإسماعيليين» (١٩٤٣) و«مجموع الأعياد والدلالات عند النصيريين ميمون بن القاسم الطبراني، كتاب أساسى فى دراسة دولة العلويين السورية» (١٩٤٦) و«تفسير إسماعيل للقرآن، الأجزاء من ١١ إلى ٢٠، مخطوط عربى أمبروزيانا هـ ٧٦» (١٩٥٥) و«موضوعات باطنية فريدة عند النصيرية» (١٩٥٨). وفى معرض حديثنا عن الكتب التى تعالج الفرق الإسلامية، ومن ثم، تعالج الخلاف الإسلامى الداخلى القائم، نشير إلى عمل يدور حول المدافعين المسلمين فى العصر الوسيط وحول موضوعات الخلاف والتشاحن بينهم وبين المسيحية، هو كتاب أردمن فريتش: «الإسلام والمسيحية فى العصر الوسيط. دراسات فى تاريخ التشاحن الإسلامى مع المسيحية باللغة العربية» (١٩٣٠).

كان ألفريد فون كريمر وإجناتس جولدتسيهر وسنوك هورجرونيه يعتبرون التصوف ضلعاً مهماً جوهرياً فى الإسلام، ثم جاء ريشارد

هرتمن (١٨٨١ - ١٩٦٥) وأصدر دراسة خاصة عام ١٩١٤ «عرض القریشی للصوفیة (الرسالة فی علم التصوف)» بّین فیها الاتجاهات الفکرية لرجل یمثل صوفیة معتدلة تتفق مع الإسلام الحنیف. ونشر جیورج روزن کتابه «مثنوی الشیخ مولانا جلال الدین الرومی» (١٩١٢) الذی قدم بنشره عیّنات من العمل الشعری لواحد من الصوفیین الفارسیین البارزین. علی أن أفضل دراسة للتصوف الإسلامی دراسة حاسمة ترجع إلى المستشرق الفرنسی الفذ الذی کان یسترسل فی التهویم أحياناً لوی ماسینیون (١٨٨٢ - ١٩٦٢)، والذی أخرج کتاباً تعتبر عُدّة الطالب فی الدراسات الإسلامیة حتی فی الدیار الألمانية منها: «آلام الحسین بن المنصور الحلاج، شهید التصوف الإسلامی، الذی أعدم فی بغداد فی ٢٦ مارس ٩٢٢، (فی مجلدين، ١٩٢٢)، «دراسة فی أصول المصطلحات الفنیة للتصوف الإسلامی» (١٩٢٢) و«مجموعة نصوص لم تنشر من قبل خاصة بتاريخ التصوف فی البلاد الإسلامیة» (١٩٢٩). ثم جاء ماکس هورتن (١٨٧٤ - ١٩٤٥) وكان قد أشار فی عام ١٩١٠ فی «مجلة الفلسفة العلمیة وعلم الاجتماع» إلى وجود «أفکار هندیة فی الفلسفة الإسلامیة»، وكتب فی عام ١٩٢٨ فی مجلة الجمعیة الشرقیة الألمانية تحت عنوان فیه مبالغة وتکبر هو «فحص فیولوجی لمحاولات ترجمة نصوص صوفیة للحلاج» مقالاً نقد فیه نتائج أبحاث ماسینیون، واعتبر اللاکونیة وتعالیم المایا المکونات الأساسیة لأفکار الحلاج، واعتبر الحلاج نفسه مفکراً من الطراز البرهمانی. وتولد من هذه الاعترافات تشاحن مؤسف ریما لم تتخّ خلاله الفرصة دائماً لفهم الأمور التي كان هورتن یقولها علی الوجه الصحیح. ولریشارد هرتمن رأى وسط، كأنه اتخذه قبل المعركة لیوفق بین اتجاهیها، نشره

عام ١٩١٦ «في مسألة أصل الصوفية وبيدائها»، يقول: إن عالم الأفكار والتصورات الإسلامي ينبغي أن يفهم أولاً من خلال الإسلام نفسه، دون أن يعنى هذا استبعاد التأثيرات الأجنبية المباشرة.

وأتى بعد جيورج روزن مستشرقون آخرون ترجموا في أعقابه عينات من القصائد الصوفية إلى الألمانية، منهم ماكس مايرهوف (١٨٧٤ - ١٩٤٥) في «الصوفية الفارسية التركية» (١٩٢١) وجيورج ياكوب (١٨٦٢ - ١٩٣٧) في «الوحدة الصوفية. حنين وتحقق» (١٩٢٢). وهلموت ريتز الذي ظهرت له في كتاب تكريم جيورج ياكوب (١٩٣٢) ترجمة أدبية ممتازة للنشيد الأول من القصيدة التعليمية الصوفية العظيمة لجلال الدين الرومي، وفي كتاب تكريم رودولف تشودي (١٩٥٤) «كلمات بايزيد البسطامي»، وفي مجلة «أورينس» (١٩٥٢) «الصوفية الإسلامية جدال مع الله». أما أهم عمل أنشأه ريتز وأسهم به في دراسة الصوفية فهو كتابه العلمى الكبير «بحر الروح. الإنسان والدنيا والله في حكايات فريد الدين عطار» (١٩٥٥)، ذلك الكتاب الذى يعتبر بحق معيناً لا ينضب للأفكار الصوفية.

وهناك كتب ومقالات تعالج موضوع الطوائف الصوفية التى أخذت أهميتها تزداد تدريجياً فى قلب العصر الوسيط والجزء المتأخر من العصر الوسيط، وموضوع الجماعات المشابهة لها منها: بقلم هرمن تورننج «مقالات لفهم نظام الجمعيات الإسلامى على أساس بسط مداد التوفيق» (١٩١٣) فيها تفصيلات دقيقة عن قبول المستجدين فى طائفة من طوائف الدراويش، ويقلم باول كاله (١٨٧٥ - ١٩٦٥) «فى تنظيم طوائف الدراويش فى مصر» (١٩١٦) ويقلم ريشارد هرتمن «فتوة

وملامة» (١٩١٨)، وبقلم جيورج ياكوب (١٨٦٢ - ١٩٣٧) «مقالات في فهم طائفة الدراويش البكتاشية» (١٩٠٨) و«البكتاشية وعلاقتها بالظواهر المشابهة» (١٩٠٩)، وبقلم ريشارد رويش «الإسلام في شرق أفريقيا مع مراعاة خاصة للجماعات الإسلامية السرية» (١٩٣٠). وخص فرانتس تيشنر (١٨٨٨) الفتوة، وهي تنظيم من الرجال يتابع أهدافاً إنسانية، بأبحاث مستفيضة وطبعات للنصوص، لا نستطيع أن نتعرض لها هنا بالتفصيل ونكتفى بالإشارة إلى مقالاتيه العامتين «جماعات الفتوة الإسلامية. مشكلة نشأتها والخطوط الأساسية لتاريخها». (١٩٣٤) و«الفرسانية الإسلامية في وقت الحروب الصليبية». (١٩٣٨).

الشريعة الإسلامية

رفع جولدتسيهر وسنوك هورجرونيه الفقه إلى درجة الموضوع الخاص الذي تبحّثه الدراسات الإسلامية، وأدى هذا إلى نشاط في العالم المتخصص، بما فيه المنطقة الناطقة بالألمانية، وحركة نشر كبيرة. في عام ١٩١٠ ظهر «موجز الشرع الإسلامي على مذهب المدرسة الشافعية» في طبعة جديدة من طبعة ت. ف. يونبول الأساسية الأصلية بالهولندية عام ١٩٠٣. أما الدراسات الألمانية الأصلية التي كتبها مستشرقون ألمان فنذكر منها: «قانون الأجانب الإسلامي حتى الاتفاقات الإسلامية الأفرنجية .. دراسة قانونية تاريخية في الفقه» (١٩٢٥) و«في بناء المؤلفات الفقهية الإسلامية» (١٩٣٥) لـ فيللي هيفننج (١٨٩٤ - ١٩٤٤). «في تطبيق الشريعة الإسلامية في القرن السادس عشر. التفسيرات الشرعية لشيخ الإسلام أبي السعود، أخرجها وترجمها ويبحثها» «باول هورستر» (١٩٣٥). أما يوزف شاخت (١٩٠٢) الخبير الأول

فى ميدان الشريعة الإسلامية فى الوقت الحاضر، فقد بدأ دراساته المنوعة للفقہ بطبعة من «كتاب الحيل والمخاريج» للخشاف (١٩٢٣) و«كتاب الحيل فى الفقہ» للقرزوينى (١٩٢٤)، ثم نشر فى مجلة «الإسلام» (١٩٢٦) عرضاً عاماً لمدونات الحيل الفقهية: «المدونات العربية عن الحيل. دراسة فى تطبيق الشريعة الإسلامية». كذلك نشر شاخت مقالات عن الموضوعات الآتية: «مهام البحوث فى الشريعة الإسلامية» (١٩٢٨)، «شريعة وقانون فى مصر الحديثة. دراسة فى موضوع اتجاه التجديد الإسلامى» (١٩٣٢)، «نظرة اجتماعية فى الشريعة الإسلامية» (١٩٣٥). وفى عام ١٩٣٢ نشر شاخت: «مقتطفات القنسطنطينية من كتاب الاختلاف للطبرى». كذلك اشتغل جوتهلّف برجشتريسر (١٨٨٦ - ١٩٣٣) بمسائل الشريعة الإسلامية اشتغال العالم المتعمق، وعبر عن آرائه فيها بصفة أساسية فى مقالتين هامتين نشرتا ببعض المجلات: «بداية التفكير التشريعى فى الإسلام ومميزاته» (١٩٢٥) و«فى منهج البحث فى الفقہ» (١٩٣١). وأخرج شاخت من مخلفات برجشتريسر الذى مات مبكراً، مخطوط محاضرات منظمة ألقاها فى الفصل الدراسى الشتوى ١٩٢٨/١٩٢٩) عن المميزات الأساسية للشريعة الإسلامية، ونشره باسم «المميزات الأساسية للشريعة الإسلامية، بقلم جوتهلّف برجشتريسر» (فى سلسلة الكتب التعليمية لقسم اللغات الشرقية ببرلين، ٣٥، ١٩٣٥). ويبدأ الكتاب بتقرير معبّر مؤثر: «الشريعة الإسلامية بمعناها الواسع الذى يشمل تنظيم الشعائر كذلك، هى المضمون الحقيقى للروح الإسلامية الأصيلة، وهى التعبير الحاسم عن التفكير الإسلامى، إنها النواة الجوهرية للإسلام على الإطلاق».

الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية والرياضة

لقيت الفلسفة الإسلامية منذ منتصف القرن التاسع عشر اهتمام المستشرق فريدرش ديتريتشى (١٨٢١ - ١٩٠٢) الذى توفر عليها وأخرج ما يسمى «بكتاب الريوية لأرسطو» ومختارات من «رسائل إخوان الصفا»، و«الدولة النموذجية»، ورسائل أخرى للفارابى، وحاول أن يعرض «فلسفة العرب فى القرن العاشر اعتماداً على كتابات إخوان الصفا» (٨ مجلدات). وفى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين كتب ل. شتاين «فى ظهور الفلسفة الإغريقية لأول مرة بين العرب» (١٨٨٩) و«استمرار الفلسفة الإغريقية والعالم الفكرى عند العرب» (١٨٩٨)، وكتب ي. بوللاك فى «تطور الفلسفة العربية واليهودية فى العصر الوسيط» (١٩٠٤)، وكتب ز. هوروفيتس فى «أثر الرواقية على تطور الفلسفة عند العرب» (١٩٠٢) وفى موضوع «أثر الفلسفة الإغريقية على تطور الكلام» (١٩٠٩). وتبعت هذه الدراسات محاولات لعرض تاريخ الفلسفة الإسلامية فى مجموعها: «تاريخ الفلسفة فى الإسلام» بقلم ت. ي. دى بور (١٩٠١) ومن تأليف ماكس هورتن (١٨٧٤ - ١٩٤٥) «النظريات الفلسفية للفقهاء المتأملين فى الإسلام اعتماداً على مصادر أصلية» (١٩١٢) و«فلسفة الإسلام فى علاقاتها بالنظريات الفلسفية بالجزء الغربى من الشرق» (١٩٢٤)، كذلك قام هورتن بكتابة القسم الخاص بفلسفة الإسلام فى الطبعة الحادية عشرة من كتاب «أوبرفيج» أساسيات تاريخ الفلسفة (فى المجلد الخاص بفلسفة آباء الكنيسة والمتكلمين) الذى ظهر عام ١٩٢٧ وأعيد طبعه عام ١٩٥١. بالإضافة إلى هذه الأعمال، كتب هورتن مجموعة كبيرة من الدراسات المستقلة عن النظريات الفلسفية لنفر من الفلاسفة والمتكلمين، وتقريرات سنوية عن

الكتب الجديدة في ميدان الفلسفة العربية وما إلى ذلك. كان ماكس هورتن يمتاز بقدرة إنتاجية عجيبة، ولكن أعماله لم تسبر الأعوار كما كنا نتمنى، ونحن نفتقد لديه قبل كل شيء آخر، ترجمة الطرز الفكرية الكلامية التي يقدمها لنا من العصر الوسيط عن مصادرها إلى الطرز الفكرية في العصر الحاضر. وهناك فيما يعرض موضوعات كثيرة ينبغي أن يتناولها البحث التفصيلي الجزئي أولاً. وإذا انتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا أعمالاً قيمة نشير من بينها إلى «مقالات في نظرية الذرات الإسلامية» (١٩٣٦) بقلم زالمون بينس و«نظرية الذرات في العصر الإسلامي المبكر» (١٩٣١) تأليف «أوتو برتسل» (١٨٩٣ - ١٩٤١) و«نظرية الصفات الإسلامية، المبكرة وأسسها الفلسفية وآثارها» (١٩٤٠) ويصل برتسل استناداً إلى ما تحت يديه من مادة، وخاصة «مقالات الإسلاميين» للأشعري، إلى نتائج منها أن النظرية الصفاتية الإسلامية المبكرة لا سبيل إلى وصلها بالفلسفة الإغريقية أو إلى تفرعها عنها، كما كان الناس يظنون بناءً على مصادر متأخرة.

على أن التراث الإغريقي العلمي قد أثر بصفة عامة تأثيراً خارقاً للعادة في نشأة الثقافة العربية الإسلامية وخاصة تلك الأعمال المختصة بالفلسفة والطب. وقد جمع موريتس شتاينشنايدر (١٨١٦ - ١٩٠٧) شتات هذا الموضوع في «الترجمات العربية المنقولة عن الإغريقية» (١٨٨٩ - ١٨٩٦، طبعة مكررة ١٩٦٠). وهناك بقلم جوتهلف برجشتريسر «حنين ابن إسحق ومدرسته» (١٩١٣) وهي دراسة تشمل المترجم الهام ومنهجه، و«حنين ابن إسحق، في ترجمات جالينوس السريانية والعربية، أخرجها وترجمها «جوتهلف برجشتريسر» (١٩٢٥)، وأخرجها مزودة باستكمالات مرة ثانية عام ١٩٣٢). أما يوليوس

هيرشبيرج (١٨٤٣ - ١٩٢٥) فأخرج دراسات منها «الكتب الدراسية العربية فى طب العيون» (١٩٠٥)، وأما ماكس مايرهوف (١٨٧٤ - ١٩٤٥) فقد تتبع الطريق التى سلكها العلم الهللىنى الإغرىقى حتى وصل إلى العرب فى «من الأسكندرية إلى بغداد. مقال فى تاريخ التعليم الفلسفى والطبى عند العرب» (١٩٣٠)، وشببه به تقرير يوزف شاخ (١٩٠٢) «عن الهللىنية فى بغداد والقاهرة فى القرن الحادى عشر» (١٩٣٦). وهناك بقلم ماكس مايرهوف أيضاً - وكان يعمل عشرات من السنين فى القاهرة طبيباً للعيون، وألف عام ١٩٢٨ «عشر دراسات فى العيون» - سلسلة كبيرة من المؤلفات الصغيرة ومن المقالات المنشورة فى المجلات تدور حول موضوعات طبية تاريخية، منها مثلاً: «نظرية أرسطو فى النور عند حنين ابن إسحق» (١٩١١)، «وفى تاريخ الدواء المصرى للعيون ششم» (١٩١٣)، «كتاب عربى مجهول فى طب العيون من القرن الحادى عشر» (١٩٢٨)، «فى علم العقاقير وعلم النبات لأحمد الغافقى» (١٩٣٠)، «مقدمة لعلم العقاقير للبيرونى» (١٩٣٢)، «ابن النفيس ونظريته فى الدورة الرئوية» (١٩٣٥).

وقد اشتغل بالعلوم الطبيعية فى الإسلام خاصة إلهارت فيديمن (١٨٥٢ - ١٩٢٨) ويوليوس روسكا (١٨٦٧ - ١٩٤٩). ألف فيديمن عددًا هائلاً من المقالات الصغيرة تدور حول موضوعات مختلفة خاصة فى ميدان الفيزياء والتكنيك (منها حوالى ٧٠ فى تقارير جلسات جمعية الفيزياء والطب فى إرلنجن). واشترك مع فريدريش هاوزر فى إخراج مؤلف كبير عن «الساعات فى مجال الثقافة الإسلامية» (١٩١٥). وألف روسكا طائفة من المقالات نشرت بالمجلات علاوة على دراسات مستقلة مختلفة منها «خالد بن زيد بن معاوية» (١٩٢٤)، «جعفر الصادق،

الإمام السادس» (١٩٢٤)، و«لوح الزيرجد، دراسة فى تاريخ المدونات السحرية» (١٩٢٦) و«كتاب الزاج والأملاح» (١٩٣٥) وترجمة ألمانية لكتاب الرازى «سر الأسرار» (١٩٣٧). أما تلميذ روسكا، المستشرق باول كراوس (١٩٠٧ - ١٩٤٦) الذى مات مبكراً، فقد اشتغل فى الميدان نفسه، وأخرج «جابر بن حيان. مقال فى تاريخ الأفكار العلمية فى الإسلام» (١٩٤٢ - ١٩٤٣). وأنشأ مارتن پلسنر (١٩٠٠)، مؤلف كتاب «تدبير المنزل لبروسون الفيثاغورى المحدث وأثره على العلم فى الإسلام» (١٩٢٨)، فقد كتب دراسة عن «مواد جديدة فى تاريخ لوح الزيرجد» (١٩٢٧)، وأخرج ألفريد زيغل (١٨٨٤ - ١٩٥٩) «قاموس عربى ألمانى لمواد عوالم الطبيعة الثلاثة التى ترد فى مخطوطات الخيمياء العربية» (١٩٥٠)، و«أسماء سرية فى مدونات الخيمياء العربية» (١٩٥١) و«فهرس مخطوطات الخيمياء العربية فى ألمانيا» (١٩٥٦)، وترجم زيغل علاوة على ذلك الأجزاء الخاصة «بطب النساء، وعلم الأجنة وصحة النساء» و«الكتب الهندية» و«الفصول التمهيديّة» من كتاب فردوس الحكمة لعلى بن ريان الطبرى (١٩٤١، ١٩٥٠، ١٩٥٣):

أما حديثنا عن الدراسات التى أجريت فى ميدان الرياضة والفلك فسيقل بكثير عن حديثنا عن الدراسات التى تمت فى ميدان العلوم الطبيعية، وقد كان بدوره يلتزم الإيجاز. اشتغل فى ميدان الدراسات الدائرة حول الرياضة والفلك عند العرب هاينرش زوتر (١٨٤٨ - ١٩٢٢) خاصة، وخلف لنا دراسة شاملة هى «الرياضيون والفلكيون العرب وأعمالهم» (١٩١٠)، ثم تلاه كارل شوى (١٨٧٧ - ١٩٢٥) وپاول لوكاى (١٨٨٤ - ١٩٤٩)، فنشر كارل شوى «فى ظل الميل وجداول الظلال فى علم الفلك العربى. مقال فى حساب المثلاثات عند العرب استناداً إلى

مخطوطات لم تتشر» (١٩٢٣) و«نظريات حساب المثلثات عند الفلكى الفارسى ... البيرونى» (١٩٢٧)، ونشر لوكاى مؤلفات نشير على الأقل إلى آخرها الذى ظهر بعد وفاته «علم الحساب عند جمشيد بن مسعود الكاشى ولمحات إلى التاريخ القديم للحساب» (١٩٥١).

علم الآثار وتاريخ الفن

لعلم الآثار الإسلامية وتاريخ الفن الإسلامى حياتهما الخاصة يحيانها بوصفهما علمين مستقلين، وإن اتصلا بصلات تبادل وثيقة أحدهما مع الآخر، وارتبطا بالدراسات الإسلامية بمعناها الواسع. وهما، إذا كانا حديثى النشأة، لا يبلغان من العمر إلا عشرات قليلة من السنين، قد بلغا فى هذه الفترة القصيرة ازدهارًا تامًا، بفضل الكفاءة العلمية العالية والقدرة التنظيمية البارعة التى تميّز بها العلماء الذين أنشئوهما وطوروهما. وقد لعب التحمس الشخصى هنا دورًا حاسمًا، كما هى الحال فى كل عمليات الإنشاء الجديدة.

خرج الحافظ الأول من السويسرى ماكس فان برشم (١٨٦٣ - ١٩٢١) الذى أسس علم النقوش العربية. ولكن فضل تأسيس علم الآثار العربية بحق يرجع إلى الرائدَيْن فريدرش زاره، وإرنست هرتسفلد، كما يرجع فضل دفع تاريخ الفن الإسلامى ورفعته فى النهاية إلى مرتبة العلم القائم بذاته إلى إرنست كونل، يعينه ويسانده فى ذلك فيلهلم فون بوده (١٨٢٤ - ١٩٢٩) الذى بذل الجهود لإنشاء قسم مستقل للفنون الإسلامية بالمتاحف البرلينية.

نظم فريدرش زاره (١٨٦٥ - ١٩٤٥) رحلات مختلفة للتقيب عن الآثار، من بينها رحلة اشترك فيها مع إرنست هرتسفلد واتجهت إلى

منطقة الفرات ودجلة، وتمكنت في جولتين من اكتشاف مقر العباسيين في سامراء، قبل أن تتدلع نيران الحرب العالمية الأولى. ونشرت نتائج هذه الحفريات بعد ذلك في ستة مجلدات، ظهرت الخمسة الأولى منها «حفريات سامراء» بين عام ١٩٢٢ وعام ١٩٢٠، وظهر المجلد السادس «تاريخ مدينة سامراء»، بقلم إرنست هرتسفلد عام ١٩٤٨. وكان فريدرش زاره محباً للآثار الإسلامية يهوى جمعها، وقد عرض مجموعته على سبيل الإعارة في برلين عندما عُيِّن عام ١٩٠٤ رئيساً شرفياً للقسم الإسلامي بالمتاحف البرلينية. وأسهم بصفته رئيساً علمياً في إقامة «معرض روائع الفن الإسلامي» الكبير وإنجاحه في ميونخ عام ١٩١٠. وألّف «رسومات رضا عباسي» (١٩٠٤) الذي يبيِّن مدى اهتمامه واشتغاله بفن تصوير الرسومات الدقيقة عند الفرس، ونشر «مجلدات كتب عربية» (١٩٢٢) به صور من مجموعته ومن المجموعات المحفوظة بالمتاحف، كذلك اهتم بفن السجاد والسيراميك والفن السلجوقي الدقيق وكتب عنها.

أما إرنست هرتسفلد (١٨٧٩ - ١٩٤٥) فكان معمارياً أصلاً، وحصر نشرياته في مجال علم الآثار والطبوغرافيا (علم تخطيط الأرض). كتب مقالاً بعنوان «نشأة الفن الإسلامي ومشكلة مشتي» (١٩١٠) تناول فيه بالدرس البناء الذي وصلت واجهته إلى برلين كهديّة من السلطان عبد الحميد وحفظت في متحف القيصر فريدرش ببرلين، واعتبره قصر أحد الخلفاء الأمويين المتأخرين. وكتب دراسة أخرى موضوعها «بحوث في الجغرافية التاريخية لمنطقة دجلة والزاب الصغير وجبل حرمين». أما أهم عمل أدبي له فقد قدمه في الكتاب الذي أشرنا إليه من قبل عن

حفريات سامراء. ولا بأس من أن ننوّه إلى أن زاره وهرتسفلد اهتمما كلاهما بأثار إيران وأثر اهتمامهما بها الشيء الهام.

ثم يأتي إرنست كونل (١٨٨٢ - ١٩٦٤) الذى أتاحت له رحلاته العديدة وأعماله فى ميدان المتاحف معرفة مباشرة دقيقة بالفن الإسلامى وأفرعه المختلفة المتباينة المتعددة، وكان إلى هذا يتمتع بموهبة تنظيم آرائه العلمية ونتائج أبحاثه فى مؤلفات جامعة كبيرة، وعرضها فى شكل ميسور فى متناول جمهور واسع من القراء. وإليك نماذج من عناوين مؤلفاته الكثيرة خاصة من تلك التى تفتح الأفق بصفة عامة: «التصوير الدقيق فى الشرق الإسلامى» (١٩٢٢)، «الفن المغربى» (١٩٢٤)، «الفنون الإسلامىة الدقيقة» (١٩٢٥، طبعة ثانية ١٩٦٣)، «رسوم هندية دقيقة» (١٩٣٧)، «فن الخط الإسلامى» (١٩٤٢)، «الزخرفة العربية. معنى وتحور زخرفة». (١٩٤٩). وأسهم إرنست كونل بمقالات قيمة فى الطبعة الثالثة من كتاب فيلهلم فون بوده «سجاد بلدان آسيا الدنيا فى العصور القديمة» (١٩٢٢، الطبعة الرابعة ١٩٥٥). أما كتابه الأخير «المشغولات العاجية الإسلامىة»، فهو جاهز للطبع.

ونحب فى هذا المقام أن نشير إلى كتابين عامّين مهمين لمؤلفين آخرين، كتاب إرنست ديتس «فن الشعوب الإسلامىة» (١٩١٥ - ١٩١٧)، وكتاب هاينرش جلوك وإرنست ديتس «فن الإسلام» (المجلد الخامس من تاريخ الفن للناسر پرويلين، ١٩٢٥). وقد اضطلع هاينرش جلوك فى الكتاب الأخير - «فن الإسلام» - بكتابة الأجزاء الآتية: «مقدمات وبدايات» و«العمارة فى البلدان العربىة والتركيّة»، «فن الكتاب وفن التصوير الدقيق»، و«المنوعات الصناعىة الفنّية الإسلامىة».

The first part of the document discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions. It emphasizes that every entry should be supported by a valid receipt or invoice. This ensures transparency and allows for easy verification of the data. The text also mentions that regular audits are necessary to identify any discrepancies or errors in the accounting process. It suggests that using a double-entry system can help in maintaining the balance of the books and prevent fraud. The document further explains that proper record-keeping is essential for tax compliance and for providing a clear picture of the company's financial health to stakeholders. It concludes by stating that a robust accounting system is the foundation for sound business decision-making.

العناية بالدراسات العربية وتطورها إلى العقد الرابع من القرن العشرين

لم يؤد استقلال الدراسات الإسلامية وتحولها إلى علم قائم بذاته إلى قطيعة مع الدراسات العربية، بل على العكس، فقد أدى وجود أغلب المدونات الإسلامية مكتوبة باللغة العربية إلى جعل الاشتغال باللغة العربية أمراً ملحاً في ضرورته.

وينبغي على الإنسان أن يميّز في الدراسات العربية بين الدراسات المختصة باللغة والدراسات المختصة بالأدب العربية، على أنه لا يمكن الفصل بين الطائفتين من الدراسات فصلاً قاطعاً، كما أنه لا يمكن الفصل القاطع بين الدراسات الإسلامية من ناحية والدراسات العربية من ناحية ثانية. فالاشتغال مثلاً بقصائد عربية يؤدي طبيعياً إلى مشكلات من شأن القواميس والنحويات، كذلك القواميس وكتب النحو إذا خلت من الإشارة الدائمة إلى النصوص تحوّلّت إلى هياكل جامدة. كذلك ينبغي أن نراعى أن الدراسات العربية كثيراً ما تتم في إطار أوسع هو إطار الدراسات السامية ويكون لها بهذا أهمية من نوع خاص. واللغة العربية هي اللغة السامية التي أوتيت أضخم أدب، لهذا فإنها عند الضرورة تفيد عند البحث عن استشهادات لإثبات وجود صيغ لغوية

سامية مميزة للسامية. وقد مضت الأزمنة التي كانت الدراسات العربية فيها تجرى بوصفها ملحقاً لدراسات اللغة العبرية.

النحو

أسهم نولدكه فى النحو العربى بدراسات قيّمة، خاصة بالدراسات التى ظهرت فى منكرات أكاديمية فيينا عام ١٨٩٧ «فى نحو اللغة العربية الفصحى»، والتى يسوق فيها استشهادات على قواعد النحو العربى، كل على حدة، وعلى ما يخرج عليها، بمجموعة هائلة من النصوص التى قراها وانتخبها وأثبتها فى منكراته لأهميتها النحوية. وقد أعيد طبع هذه الدراسة مرة أخرى عام ١٩٦٢ بعناية أنطون شبيتالر (١٩١٠) مزودة بإضافة كبيرة استخدمت فيها الملاحظات التى دوّنها نولدكه بيده فى نسخته وزيادات أخرى. كذلك أفاد النحو العربى إفادة كبيرة من دراسة نولدكه «فى لغة القرآن» التى ضمنها مجموعة «مقالات فى علم اللغات السامية» (١٩١٠). ويبدأ المؤلف فيها تحت عنوان «القرآن والعربية» بنقد ما روّج له كارل فولرس (١٨٥٧ - ١٩٠٩) فى كتابه «لغة العامة ولغة الكتابة فى بلاد العرب قديماً» من أن النص الأصيل للقرآن كان مؤلفاً بلهجة من اللهجات كانت سائدة فى الحجاز وكانت خالية من الإعراب. أمّا كتب النحو الكاملة فنشير منها إلى «النحو العربى لكسپارى» الذى خرجت الطبعة الخامسة منه بتقيق أوجست موللر (١٨٨٧)، ولكن هذا النحو قلت أهميته بعد ظهور الطبعة الثالثة من «نحو اللغة العربية» بقلم و. روبرتسن سميث و م. ج. دى جوج: فى جزئين باللغة الإنجليزية، الطبعة المسماة كاسپارى - رايت (١٨٩٦ - ١٨٩٨، أعيد طبعها عام ١٩٢٣، ثم ١٩٥١ و ١٩٥٥). وهناك كتابان يعالجان تركيب الجمل بطريقة

منظمة، كتاب هرمن ركدورف (١٨٦٢ - ١٩٢٣) الأول «علاقات العبارات فى اللغة العربية» (١٨٩٥ - ١٨٩٨) بشروح تاريخية وسيكولوجية لكل ظاهرة من ظواهر العبارة العربية، وكتابه الثانى «العبارات العربية» (١٩٢١) الذى ينتهج سبيل الوصف خاصة والذى أصبح منذ ظهوره عُدّة لكل دارس للعربية لا غنى له عنها، ولا يعيبه إلا أنه يستشهد بالشعر العربى والنثر العربى دون تفريق أو مراعاة لاختلاف النوعين فى القيمة.

كذلك ألف ألبرت زوتسين (١٨٤٤ - ١٨٩٩) - الذى يرجع فى أصله إلى مدينة بازل فى سويسرا والذى خلف المستشرق فلايشر على كرسى الاستشراق فى لايبتيغ - ألف نحواً عربياً عام ١٨٨٥ نشر فى سلسلة «باب اللغات الشرقية»، تناوله كارل بروكلمن (١٨٦٨ - ١٩٥٦) من الطبعة الخامسة (١٩٠٤) بالتنقيح والإكمال الدائم، ثم أظهره اعتباراً من الطبعة الحادية عشرة (١٩٤١) تحت اسمه وحده. وقد ظهرت الطبعة الثالثة عشرة من هذا النحو العلمى المنهجى المزوّد بجداول الصرف عام ١٩٥٣. أمّا فى كتابه الآخر «أساسيات النحو المقارن للغات السامية» (المجلد الأول: النطق والصرف، ١٩٠٨، المجلد الثانى: تركيب العبارات، ١٩١٢)، فيعتبر واحداً من أعظم الأعمال العلمية التى أخرجها هذا العالم المهم المنتج، ويعتبر مثل كتاب «العبارات العربية» لركندورف عُدّة لا غنى لدارس العربية عنها. وقد نشر كارل بروكلمن كتاباً تعليمياً موجزاً للطلاب اسمه «موجز النحو المقارن للغات السامية» (المجلد ٢١ من سلسلة باب اللغات الشرقية، ١٩٠٨)، اقتصر فيه على قواعد النطق والصرف. وقد وصلتنا مجموعة كبيرة من المقالات الهامة أسهم بها أوجست فيشر (١٨٦٥ - ١٩٤٩) فى النحو العربى، وأوجست فيشر هو أهم ممثل للمدرسة اللايبتيغية فى الاستشراق التى أسسها فلايشر،

وكان عالماً يقوم بالدراسات النحوية قيام المحب لها المولع بها. وقد نشرت مقالات فيشر في النحو العربي على أعوام عديدة خاصة في مجلة الجمعية الشرقية الألمانية، وفي المجلة التي كان يخرجها هو نفسه «إسلاميكا»، وفي مقالات تكريم زملاء له، وفي هذه وتلك من النشريات، ولا يمكننا هنا أن ندخل في تفصيلاتها، وإن أحببنا أن نشير إلى دراسته «صيغ الحُكف والدعاء ذات الصعوبة النحوية في اللغة العربية الفصحى»، التي ظهرت بعد وفاته في مجلة «الإسلام» (١٩٤٩). ونعود هنا إلى الإشارة إلى الدراسة التي قام بها تلميذه جوتهلغ برجشتريسر (١٨٨٦ - ١٩٢٣) في ميدان النحو التاريخي: «أدوات النفي والاستفهام وما إليها في القرآن» (١٩١٤). وهناك تلميذ آخر من تلاميذ فيشر هو أرتور شاده (١٨٨٣ - ١٩٥٢) كتب رسالة الأستاذية في «قواعد النطق عند سيبيويه» (١٩١١). أمّا المستشرق جوتهلغ فايل (١٨٨٢ - ١٩٦٠) فقد كتب دراسة خاصة «بالمدراس النحوية في الكوفة والبصرة» بوصفها مقدمة لطبعة «كتاب الإنصاف» لابن الأنباري (١٩١٢).

وقد دخلت اللهجات أيضاً في الدراسات الدائرة حول النحو العربي، فأخرج فيلهلم شبيتا (١٨٥٣ - ١٨٨٣)، الذي كان قد استدعى للقاهرة ليعمل مديراً لدار الكتب الخديوية، كتابه «نحو اللغة العربية الدارجة في مصر» (١٨٨٠) عرضاً لنحو هذه اللهجة على نحو علمي لأول مرة، ثم أخرج خلفه في إدارة المكتبة الخديوية بالقاهرة كارل فوللرس (١٨٥٧ - ١٩٠٩) كتاباً في الموضوع نفسه «كتاب تعليم اللغة العربية الدارجة في مصر» (١٨٩٠). ونشير في هذا المقام أيضاً إلى هانس شتومه (١٨٦٤ - ١٩٣٦) وكتابه «نحو العربية الدارجة في تونس ومعجم لها» (١٨٩٢) وجيورج كامپفماير (١٨٦٤ - ١٩٣٦) ودراساته «مقالات في علم اللهجات

العربية» المجلدات من ١ إلى ٤ (١٨٩٩ - ١٩٠٢) وأوجوست فيشر ودراسته «في قواعد نطق اللغة العربية العامية في المغرب» (١٩١٧)، وليونهارد باور ودراسته «اللغة العربية الفلسطينية. لهجات أهل المدينة والفلاحين. قواعد وتمارين ومجموعة نصوص» (الطبعة الثانية ١٩١٠، الطبعة الرابعة عام ١٩٢٦)، وجوتهلف برجشتريسر وكتابه «أطلس لغوى لسوريا وفلسطين» (١٩١٥) ودراسته «في اللغة العربية الدارجة في دمشق» (١٩٢٤)، و ف. ك. هايسباخ ودراساته «مقالات في علم اللغة العربية الدارجة في العراق» (١٩٢٤)، ونيكولوس رودوكاناكيس (١٨٧٦ - ١٩٤٥) «اللهجة العربية الدارجة في ظفار» (١٩٠٨ - ١٩١١) و ك. راينهارت ودراسته «لهجة عربية دارجة في عمان وزنجبار» (١٨٩٤).

المعاجم

لم ينتج الاستشراق الألماني في ميدان دراسات المعاجم في الفترة من بداية نشاط نولدكه إلى ثلاثينيات هذا القرن من النشريات إلا ما قلت أهميته، وأبرز ما فيه بحوث ل. فلايشر «دراسات في ملحق دوزي للقواميس العربية» (١٨٨١ - ١٨٨٧، طبعت في المجلد الثاني والثالث من الكتابات الصغيرة عام ١٨٨٨) وكتاب زيجموند فرنكل (١٨٥٥ - ١٩٠٩) «الكلمات الأجنبية الآرامية في اللغة العربية» ١٨٨٦، أعيد طبعه في عام ١٩٦٢) وهو دراسة شاملة مفيدة من ناحية تاريخ الثقافة أيضاً، وعمل فريدرش فيلهلم شماتسلوزه «أسلحة قدماء العرب حسب شعر شعرائهم. دراسة في علم الآثار العربية وفي المترادفات وفي أبحاث المعاجم» (١٨٨٦)، وكتاب هانس كندرمن «السفينة في اللغة العربية». (١٩٢٤)، وكتاب ريشر «ألفاظ مجموعة البخاري» (موقع عام ١٩٢٢)

الذى لم يطبع منه للأسف إلا عدد قليل من النسخ. وينبغى أن نبرز ونخص بالتقدير المعجم الذى أرفقه أوجوست فيشر بكتابه «مختارات عربية من الناثرين» (١٩١٢، طبعات أخرى عام ١٩٢٤ و١٩٢٨ و١٩٤٨). أما «قاموس اللغة العربية الحديثة واللغة الألمانية» الذى أخرجه أدولف فارموند (١٨٢٧ - ١٩١٢) فى طبعة أولى عام ١٨٧٤ - ١٨٧٧، وثالثة عام ١٨٩٨، فإنه غير مُرضٍ تماماً من الناحية العلمية، وأخرى بهذا الحكم قاموس إرنست هاردر (١٨٥٤ - ١٩٢٧) المسمى «القاموس الألمانى العربى» الذى صدر عام ١٩٠٣. وأما القاموس العربى الألمانى لمحمد بروجش والذى نشر جزئياً حسب مخطوط مكتوب باليد، فإنه لم يكتمل. وهناك قوامس صغيرة الحجم مفيدة أخرجها اليسوعيون فى بيروت، قاموس عربى فرنسى لاستعمال الطلاب بقلم ج. ب. بيلو، وقاموس عربى إنجليزى لاستعمال الطلاب بقلم ج. ج. هافا.

وإذا كان معجم اللغة العربية الفصحى الكبير لفريتاج (١٨٢٠ - ١٨٢٧) قد استعمل فى الفترة المذكورة (وبعدها) وعُدَّ وسيلة أساسية، فالفضل فى ذلك يرجع إلى أمور منها: أن قاموس إدوارد وليام لين «المعجم العربى الإنجليزى» فى ثمانية مجلدات كان قد ظهر فى الفترة بين عام ١٨٦٣ و١٨٧٤، وأكمل المادة التى عرضها فريتاج على نحو قيم، وصوّب طرفاً منها كان يحتاج إلى التصويب .. ومع ذلك فقد ظهرت فى وقت مبكر الاتجاهات الأولى نحو تحسين المعينات القاموسية وتوسيعها بالنسبة للغة العربية، على أساس النصوص التى ظهرت مطبوعة. فقد ترك هاينرش تورريكه (١٨٢٧ - ١٨٩٠) عند وفاته مجموعة بطاقات كبيرة جمعها لتكون معجماً فى المستقبل، وسجل تيودور نولدكه فى نسخته الخاصة من معجم فريتاج أمثلة كثيرة جداً ثمة اشتغاله بالنصوص

العربية. (وقام يورج كرىمر ببحث المواد التى سجلها نولدكه فى حرف الألف ونشرها فى «معجم الاستشهادات للغة العربية الفصحى، إعداد تيودور نولدكه» ١٩٥٢ و١٩٥٤. انظر بعده) وسجل هرمن ريكندورف (١٨٦٣ - ١٩٢٣) ملحوظات كثيرة على معجم فريتاج. أما أوجوست فيشر (١٨٦٥ - ١٩٤٩) فقد أخذ على عاتقه مهمة إنشاء معجم جديد علمى صحيح للغة العربية، وجمع مواد قاموسية كثيرة جداً من مختلف مجالات العربية، وأعلن ابتداء من عام ١٩٠٧ أكثر من مرة أنه يُعدّ معجماً للغة العربية القديمة. ولكنه للأسف لم يتمكن من تنفيذ المشروع العظيم. حقيقة أن صناديق البطاقات حملت إلى القاهرة عندما عيّن فيشر عضواً بمجمع اللغة العربية عام ١٩٣٤، وأن فيشر اشتغل بإعداد مواد القاموس فى أثناء إقاماته الشتوية المنتظمة بالقاهرة، ولكنه لم يصل إلى الهدف، لنشوب الحرب العالمية الثانية وتعطيلها إياه. فلما أنتهت الحرب، لم يتمكن من اتباع دعوة الحكومة المصرية والعودة إلى القاهرة. ولم تنتج المواد القاموسية التى جمعها فيشر ثمارها إلا فى إطار «معجم اللغة العربية الفصحى» الذى بدأ فى الظهور عام ١٩٥٧، على نحو ما سنذكر فى موضع آخر. ونود فى ختام هذا العرض أن نشير إلى يوزف هوروفيتس (١٨٧٤ - ١٩٣١) الذى اهتم فى دراساته القرآنية اهتماماً شديداً بالاستعمال اللغوى فى أعمال شعراء قبل الإسلام، وفكّر فى إنشاء معجم للشعر العربى القديم، وقام فى معهد الدراسات الشرقية بالجامعة العبرية التى افتتحت عام ١٩٢٥ فى القهس بتفريغ الدواوين العربية المطبوعة فى بطاقات لتحقيق هذا الهدف، ولكن شيئاً لم يخرج مطبوعاً من هذا المشروع.

وينبغي أن نشير إلى اشتراك علماء العربية الألمان في تفرغ مؤلفات الحديث في بطاقات، وهو عمل بدأ بعد الحرب العالمية الأولى إعداداً «لمعجم الحديث المفهرس» الذي اضطلع ا.ى. فسينك بإخراجه .. وقد ظهرت من هذا المعجم المفهرس الضخم الذى يقصد إلى تبويب ألفاظ الحديث تبويماً منظماً، والذى يتسم بأهمية كبيرة للمعاجم العربية عامة، خمسة أجزاء، فى الفترة بين عام ١٩٢٦ و١٩٦٥.

فهارس الكتب العربية . مجموعات المخطوطات وقوائمها

سبق أن أشرنا فى موضع آخر إلى كتاب كارل بروكلمن (١٨٦٨ - ١٩٥٦) «تاريخ الأدب العربى» الذى يضم فى مجلداته الخمسة الضخمة الأدب العربى كله، سواء المطبوع منه أو المخطوط، باستثناء المؤلفات اليهودية والمسيحية الخاصة. أما المؤلفات اليهودية فقد شملها كتاب موريتس شتاينشنايدر (١٨١٦ - ١٩٠٧) «الأدب العربى عند اليهود الذى ظهر عام ١٩٠٢ وتكرّر طبعه عام ١٩٦٤. وأما المؤلفات المسيحية فقد شملها كتاب جيورج جراف (١٨٧٥ - ١٩٥٥) ذو الأجزاء الخمسة «تاريخ الأدب العربى المسيحى» (١٩٤٤ - ١٩٥٢). وهناك بقلم ريشر «مختصر تاريخ الأدب العربى» فى جزئين (١٩٢٥ و١٩٣٢)، الذى ظهر للأسف فى ٦٠ نسخة منقولة بالطبع عن الأصل المخطوط.

وتتسع حركة طبع الأعمال العربية الكلاسيكية وبعد الكلاسيكية من عام إلى عام اتساعاً كبيراً، ومع هذا فلا ينبغي أن ننسى أن جزءاً كبيراً من الأدب العربى ما زال مخطوطاً حتى اليوم، وأن الجيل الذى شهد الانتفاضة الحديثة للدراسات العربية ونشأة الدراسات الإسلامية بوصفها علماً مستقلاً، كان حظه من المؤلفات المطبوعة أقل بكثير من

حظ الجيل الحالي. وقد خرجت مجموعة من الأعمال الأدبية العربية الهامة، لا الأعمال الدائرة حول الدراسات الإسلامية فقط، بعناية مستشرقين أوروبيين لأول مرة مطبوعة، وكان للعلماء الألمان سهم وافر في هذا النشاط. وكان الشرط الأساسي للطبع هو، بدهياً، إثبات أصالة المخطوطات، لهذا كان الكشف عن المخطوطات العربية وجمعها ووصفها فرعاً هاماً من أفرع الدراسات العربية.

وقد استحق الويس شبرنجر (١٨١٣ - ١٨٩٣) التقدير لما جمع من مخطوطات عربية، فقد اكتشف أثناء إقامته في الهند وأثناء رحلاته في الشرق الأدنى مخطوطات نادرة، فاقتناها أو انتسخ منها نسخاً، حتى اجتمع له ٢٠٠٠ مجلد عاد بها إلى أوروبا، من بينها ١١٠٠ مخطوط عربي، اشترتها مكتبة برلين عام ١٨٥٨. وكان هاينرش بيترمن (١٨٠١ - ١٨٧٦) قد بعث خصيصاً إلى الشرق لشراء مخطوطات شرقية، وعاد معه مجموعتان. كذلك عرف هذا العرص جامعاً آخر للمخطوطات هو يوهان جوتفريد قيتسشتاين (١٨١٥ - ١٩٠٥)، كان يعمل في دمشق قنصلاً لبروسيا (١٨٤٨ - ١٨٦٢) واقتنى أربع مجموعات من المخطوطات، ذهبت مجموعتان إلى برلين، ومجموعة إلى لايبسج ومجموعة إلى توبنجن. وكلف فيلهلم آلفارت (١٨٢٨ - ١٩٠٩) عام ١٨٦٣ بمهمة تبويب المخطوطات العربية، ببرلين فأخلص للمهمة الشاقة غير المجزية أيما إخلاص، ولم يقف عند حد تقويم المخطوطات بنفسه، بل نظمها ووصفها لفائدة من قد يهتم بها من العلماء، وكرس لهذا العمل عشرين سنة من عمره، وظهرت نتيجته في عشرة مجلدات من الحجم الكبير (١٨٨٧ - ١٨٩٩) وأصبحت في متناول المتخصصين. رسم آلفارت صور شخصيات الأدباء المختلفين، وتتبع تطور الأنواع الأدبية المتباينة،

وقدّم ملخصاً دقيقاً لمضمون كل عمل، فاجتمع له بذلك كاتالوج مخطوطات يفوق المؤلف من هذا النوع، ويحتفظ على الدوام بقيمة ثابتة في تاريخ الأدب العربي، كاتالوج إذا ما قورنت به الكاتالوجات الأخرى صغرت وتضاءلت، وهكذا تتضاءل قيمة الشيء الحسن دائماً إذا ظهر ما هو أفضل منه. ولكن لا ينبغي أن يعوقنا هذا عن التتويه بفضل العمل الزاهد الذي يكمن وراء كل مخطوط عربي جاهز للاستعمال. ولننتخب واحداً على الأقل من أصحاب الكاتالوجات؛ نتوه به ممثلاً للكثيرين الذين لا يتيح لنا هذا المجال التتويه بهم، لنذكر إذن كرستيان زايبولد (١٨٥٩ - ١٩٢١) «مكتبة جامعة توينجن. ثبت بالمخطوطات العربية» (١٩٠٧، أكملها عام ١٩٢٠ ماكس فايسفايلر).

شعراء عرب

يحتل شعراء قبل الإسلام وشعراء صدر الإسلام مكاناً عالياً في ميدان دراسة الأدب العربي الذي لا يتخذ من الدين موضوعاً له. وقد نشر نولدكه وترجم وشرح قصائد عروة بن الورد (١٨٦٣)، كما ترجم مقدمة كتاب ابن قتيبة في حياة الأدباء ضمن «دراسات لمعرفة شعر قدماء العرب» (١٨٦٤)، وكتب عن «قصائد اليهود في الجزيرة العربية»، و«مالك ومتمم ابني نويرة» و«الخنساء» و«البدو بوصفهم مُضَلِّلين للواقفين فيهم». كذلك ترجم وشرح خمساً من المعلقات (١٨٩٩ - ١٩٠١). وجمع في كتابه «مختارات من الشعر العربي» باقة يانعة من الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي، لاستعمالها في أغراض الدرس، وما زال الكتاب يستعمل حتى اليوم (١٨٩٠ وأعيد طبعه عام ١٩٢٣ و١٩٦١، وزوّده أوجوست مولر بمعجم). أمّا هاينرش توريكه (١٨٣٧ - ١٨٩٠) فقد أخرج

المفضليات، غير كاملة، (١٨٨٥)، فى حين سار يوليوس هيلهاوزن فى أعقاب طبعة كوزيجارتن (الجزء الأول عام ١٨٥٤)، ونشر «الجزء الأخير من ديوان الهذليين، بالعربية والألمانية» (١٨٨٤). واشتغل جولدتسيهر بديوان الحطيئة (١٨٩٣) ونشر دراسة «عن التاريخ الأول لشعر الهجاء» (١٨٩٦)، ونشر فيلهلم ألفارت (١٨٢٨ - ١٩٠٩) خمريات أبى نواس (١٨٦١)، ودواوين النابغة وعترة وطرفة وزهير وعلقمة وامرئ القيس (١٨٧٠) والأصمعيات (١٩٠٢) ودواوين شعراء الرجز رؤبة بن العجاج وابن قيس الرقيات وأبى المرقال (١٩٠٢) وكوّن رأياً فى مسائل أساسية فى الدراسات العربية فى دراسته «ملاحظات على أصالة القصائد العربية القديمة» (١٨٧٢). وجاء المستشرق النمساوى العالم بالدراسات العربية رودولف جاير (١٨٦١ - ١٩٢٩) فنشر فى «أراجيز عربية قديمة» (١٩٠٨) و«مقالات فى ديوان رؤبة» (١٩١٠) ملاحق ومكملات كبيرة لطبعات ألفارت التى خص بها شعراء الرجز، كذلك نشر جاير «قصائد ومقتطفات لأوس بن حجر» (١٨٩٢) وقصائد «ميمون بن قيس الأعشى مع قصائد لشعراء آخرين بالاسم نفسه وقصائد المسيب بن علس» (١٩٢٨). أمّا مواطنه نيكولاوس رودوكاناكيس (١٨٧٦ - ١٩٤٥) فقد نشر طبعة نموذجية من ديوان ابن قيس الرقيات مع ترجمة ومقدمة (١٩٠٢) ونشر دراسة طريفة عن «الخنساء ومراثيها» (١٩٠٤). ونشر المستشرق السويسرى فريدريش شولتهس (١٨٦٨ - ١٩٢٢) ديوان حاتم الطائى مع ترجمة له (١٨٩٧) كما نشر وترجم مقتطفات القصائد التى نقلها الرواة منسوية إلى أمية بن أبى الصلت (١٩١١). ونشر پاول ششارتس (١٨٦٧ - ١٩٢٨) طبعة من ديوان عمر بن أبى ربيعة مع عرض ممتاز للغته وأسلوبه وأوزانه (١٩٠٢ - ١٩٠٩) ونشر يوزف هوروفيتس (١٨٧٤ - ١٩٣١)

هاشميات الكميت (١٩٠٤) وأخرج ياكوب بارت (١٨٥١ - ١٩١٤) ديوان القطامي (١٩٠٢)، ونشر يوزف هل (١٨٧٥ - ١٩٥٠) طبقات الشعراء للجمحي (١٩٢٠) ودواوين جديدة للهذليين (١٩٢٦ و ١٩٢٣ مع ترجمة) والجزء الثاني من ديوان الفرزدق (١٩٠٠ - ١٩٠١). وقدّم جيورج ياكوب (١٨٦٢ - ١٩٣٧) في الكراستين الأوليين من «دراسات في الشعراء العرب» (١٨٩٢ و ١٨٩٤) دراسات لفهم المعلقة. كذلك نشر طبعة نص تمتاز بالعمق، ومزوّدة بترجمة وتعليق (دراسات «الشنفري» عام ١٩١٤ و ١٩١٥) وترجمة ألمانية أدبية ممتازة للامية العرب (١٩٢٣). وبث هلموت ريتز دراسته «في لغة نظامي التصويرية» (١٩٢٧) ملاحظات من بينها ملاحظات ذات أهمية بالغة في الشعر العربي. وفي ختام عرضنا هذا نشير إلى ثلاثة أعمال اختصت الشعر العربي الشعبي بالدرس: «القصيدة العربية ذات المقاطع» أولاً: «الموشح» (١٨٩٧) بقلم مارتن هرتمن، وديوان من وسط الجزيرة العربية، جمعه وترجمه وشرحه «ألبرت زوتسين» (١٨٤٤ - ١٨٩٩) ونشره هانس شتومه، عام ١٩٠٠ و ١٩٠١، و«حركات حديثة في الشعر الفني العراقي المعاصر» (١٩٢٦) بقلم أرتور شاده (١٨٨٣ - ١٩٥٢).

وقد أيقظ الاشتغال بالشعر العربي القديم بالضرورة الاهتمام بالبيئة التي عاش فيها الشاعر والتي ينبغي أن نفهمه على أساسها. ونشر إنو ليتمن (١٨٧٥ - ١٩٥٨) الذي صنع لنفسه اسماً في ميدان دراسة النقوش السامية، وشرح في مؤلفات عديدة نقوشاً عربية قديمة وملخصاً لنتائج أبحاثه في «ثمود و صفا». دراسات في علم نقوش الشمال العربي» (١٩٤٠) كذلك أعطى يوليوس فيلهاوزن بكتابه «بقايا جاهلية عربية» (١٨٨٧، طبعة ثانية ١٨٩٧) صورة من عالم العرب الأقدمين من وجهة

النظر الدينية التاريخية. وأخذ جيورج ياكوب (١٨٦٢ - ١٩٣٧) في اعتباره الثقافة المادية عندما أنشأ كتابه الذى لا يزال جديراً بالقراءة «حياة البدو قبل الإسلام» (١٨٩٥، طبعة ثانية ١٨٩٧)، ولا يفوتنا أن ننوه فى هذا المقام بإريش بروينلش (١٨٩٢ - ١٩٤٥) وكتابه «بيستام بن قيس» (١٩٢٣). وهناك كتاب فريدريش شيلهم ششارتسلوزه «أسلحة العرب الأقدمين فى شعر شعرائهم» (١٨٨٦) وكتاب إريش بروينلش (١٨٩٢ - ١٩٤٥) «البئر فى بلاد العرب قديماً» (١٩٢٥) اللذان يمدان القارئ بمعلومات فى موضوعات خاصة معينة. ولما كانت نظم الحياة وأشكالها ثابتة فى المنطقة الداخلية من الجزيرة العربية، وكان ذلك الثبات مميزاً لها حتى العشرات الأولى من القرن العشرين فقد اتخذت المؤلفات الحديثة التى تصوّر الأحوال فى تلك المنطقة حالياً أهمية كبيرة بوصفها وسيلة لمعرفة الأحوال فيها قديماً، سواء كانت هذه المؤلفات تقارير رحالة أو دراسات جغرافية عامة. من تقارير الرحالة نشير إلى كتاب يوليوس أويتنج (١٢٨٩ - ١٩١٣) الفريد «يوميات رحالة فى داخل الجزيرة العربية» (فى مجلدين ١٨٩٦ - ١٩١٤)، ومن الدراسات الجغرافية نشير إلى كتاب برنهارد موريتس (١٨٥٩ - ١٩٢٩) «البلاد العربية .. دراسات فى جغرافيتها الطبيعية والتاريخية» (١٩٢٣)، وإلى كتاب هالتر ليش (١٩٣١) «بلاد العرب» الذى يعطى تصويراً صغيراً تخطيطياً لها. أما كتاب ماكس فون أوبنهايم (١٨٦٠ - ١٩٤٦) الكبير «البدو» فمفيد على نحو خاص، وقد ظهر المجلدان الأولان منه بمعاونة إريش بروينلش وفرنر كاسكل فى عام ١٩٢٩ و١٩٤٣، ونشر كاسكل الجزء الثالث بمفرده فى عام ١٩٥٢، وينتظر صدور جزء رابع من الكتاب.

النثر العربي

ينقسم قطاع النثر العربي الفنى غير العلمى إلى قسمين: قسم أعمال الأدب، أى الأعمال الثقافية العامة، وقسم الأعمال الشعبية التى تستهدف التسلية فحسب، على أن نراعى أن الفصل بين القسمين لا يمكن أن يتم بشكل نهائى قاطع، فهناك الأعمال الشعبية الهادفة إلى التسلية فقط التى تضى على نفسها مسحة من الأساس العلمى، ونقصد بذلك إلى أنه ينبغى على الناس أن يأخذوها هى أيضاً مأخذ الجد .

أخرج بروكلمن ثلثا من كتاب أدبى نموذجى هو «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١٩٠٤ إلى ١٩٠٨)، وعالج أوسكر ريشر (١٨٨٣) «كتاب الأدب الكبير لابن المقفع» عام ١٩١٧. كذلك كتب جوستاف ريشتر (١٩٠٦ - ١٩٢٩) مقالاً فى بعض المجلات «فى كتاب الأدب الصغير لابن المقفع» (١٩٣١)، ودراسة خاصة هى «دراسات فى تاريخ أصول عربية قديمة لمرآة الأمراء» (١٩٣٢). وكتب ألفرد فينر فى موضوع على الحدود بين الأدب الفنى والأدب الشعبى فى مقال تفصيلى نشر ببعض المجلات عام ١٩١٣ بعنوان «فى أدب الفرج بعد الشدة» كما كتب ب. لوزن (١٩٣٥) مقالاً عن أهم أديب يمثل هذا الفرع «التتوخى، طريقته وفنه»، وأخرج رودى پارت (١٩٠١) موجزاً لموضوعات قصص غرامية من كتاب ابن السراج المسمى «مصارع العشاق» فى مقال بعنوان «قصص غرامية عزيزة قديمة. دراسة فى تاريخ الأدب المقارن» (١٩٢٧)، وعالج فرنر كاسكل (١٨٩٦) فرعاً من فروع الأدب يمتاز بالتأثير والجادبية هو «أيام العرب الأقدمين» فى دراسة خاصة صغيرة «أيام العرب. دراسات فى الفن الملحمى العربى القديم» (١٩٣٠).

وكثيراً ما عالج المستشرقون الأعمال الشعبية المسلية العامة، ونذكر منها أول ما نذكر «ألف ليلة وليلة»، أخرج ترجمة ممتازة لها المستشرق انو ليتمن (١٨٧٥ - ١٩٥٨) في ستة أجزاء بين عامي ١٩٢٣ و ١٩٢٨ بعنوان «حكايات من ألف ليلة وليلة» وألحقها بدراسة «عن نشأة ألف ليلة وليلة وتاريخها». وقد تناول ليتمن ألف ليلة وليلة بالدرس مرة أخرى، وكتب مقالاً صغيراً عنها بعنوان «ألف ليلة وليلة في الأدب العربي» (١٩٢٣). وهناك مقال مفيد ممتاز بقلم يوزف هوروفيتس (١٨٧٤ - ١٩٣١) نشره في «مجلة الأمم» عام ١٩٢٧ عن «نشأة ألف ليلة وليلة»، ومقال آخر بقلمه أيضاً نشر بمناسبة تكريم زاخاو، رد فيه «الاستشهادات الشعرية في ألف ليلة وليلة» إلى أصولها (١٩١٥). وفي عام ١٩٢٥ نشر أوسكر ريشتر ترجمة ألمانية لكتاب أوستروب الأساسي «دراسات في ألف ليلة وليلة»، ولكنه طبع ٦٠ نسخة فقط. وكان ريشتر قد نشر في عام ١٩١٩ بحثاً في مجلة «الإسلام» عن دراساته الخاصة في مضمون ألف ليلة وليلة. وكتب أرتور شاده دراسة اتخذ فيها رأياً في «أصل بعض قصص أبي نواس وصيغتها الأولى في ألف ليلة وليلة» (١٩٣٤ - ١٩٣٦).

وهناك نشرات خاصة بالروايات الشعبية العربية والأساطير العربية التي تحكى عن الغزوات في عصر النبي محمد: حكايات بنى هلال - (١٨٩٩) بقلم مارتن هرتمن (١٨٥١ - ١٩١٨)؛ ورواية عنصرة العربية (١٩٢٥) و«أهمية رواية عنصرة العربية في تاريخ الأدب المقارن» (١٩٣١) بقلم برنهارد هيللر؛ و«سيرة سيف بن ذى يزن .. رواية شعبية عربية» (١٩٢٤) و«تاريخ الإسلام في مرآة الأدب الشعبي العربي» (١٩٢٧)، و«رواية عمر النعمان الفرسانية وعلاقتها بألف ليلة وليلة» (١٩٢٧)

و«أدب المغازى الأسطوري. أعمال أدبية عربية عن الغزوات الإسلامية في عصر محمد» (١٩٣٠) بقلم رودى بارت أو «الكتاب الشعبى العربى عن الملك الظاهر بيبرس» (١٩٣٦) بقلم هلموت فانجلين.

ولا يفوتنا أن نذكر فى ختام كلامنا نشرات صغيرة تعالج موضوعات أدبية مختلفة الأنواع: من تأليف جيورج ياكوب (١٨٦٢ - ١٩٣٧) «دراسات فى نصوص ألعاب خيال الظل العربى لابن دانيال» (١٩١٠ وما بعدها)، ومن تأليف كارل بروكلمن «أمثال وحكايات الحيوان فى الأدب العربى القديم» (١٩٢٦)، ومن تأليف رودى بارت «العنصر التراجيكي فى الأدب العربى» (١٩٢٨ - ١٩٢٩).

الاستشراق الألماني منذ عام ١٩٣٣

كان للحرب العالمية الأولى أثرها على الاستشراق الألماني، فأصابته من المستشرقين مَنْ نعلم ومَنْ لا نعلم. وقد كان من نتائجها أن خسرت ألمانيا مستعمراتها في أفريقيا، وليس من الممكن الجزم بأن ضياع هذه المستعمرات كان له أثر سيئ على تقدم الاستشراق. والحقيقة أن ضياع هذه المستعمرات أدى إلى ضياع حافظ مباشر على الاشتغال بالعالم الفكري للمسلمين في المستعمرات الألمانية بشرق أفريقيا. ولكن ابتعاد الألمان عن كل ألوان السيطرة السياسية على قطاع المستعمرات صفى الجو بين الألمان والشرقيين وأدى إلى تحوّل الدراسات الاستشراقية في ألمانيا إلى علم مجرد عن الغرض تماماً. وهكذا بقي الاهتمام بعالم الإسلام وبكل مظاهر النشاط فيه مستمراً قوياً بعد نهاية الحرب بل وازداد قوة بما أوتى من حافظ جديد.

أما استيلاء النازي على السلطة في ألمانيا في عام ١٩٣٣ والتطوّر الذي مرّت به ألمانيا نتيجة لذلك، فقد أدى إلى الإضرار بالدراسات الاستشراقية في ألمانيا. وأصيب أولئك العلماء الذين كانوا يقومون بعملهم حتى ذلك الوقت دون أن ينالهم ضرر .. أصيبوا بالرعب المعنوي

المتزايد، بأنهم أبقوا على إحساس فطري بالحق والإنسانية ... واضطُرَّ منهم مَنْ اضطُر إلى الهجرة. وكانت النتيجة نقصاً واضحاً في عدد المستشرقين من ناحية، ومن ناحية أخرى إحساس المستشرقين الذين ظلوا في ألمانيا ولم يهاجروا .. بالحرَج نتيجة لتصورهم أن مجتمع العالم الحر يعاديهم. فلما جاءت الحرب العالمية الثانية بلغت بالمحنة قمة أخرى أكثر ارتفاعاً. فقد اختطف الموت عدداً من المستشرقين الذين كانوا يعيشون ويصوّرون أنفسهم من الناحية الفكرية كمن يعيش على جزيرة ... فلما انتهت الحرب كان علينا أن نعانى من الجوع والبرد، وأن نعانى من الإحساس بالمشاركة في تحمل مسئولية أعمال الحكم النازي.

والناس يتحدثون كثيراً عن معجزة النهضة الاقتصادية بعد الحرب. ونحن كذلك نحس بمعجزة من الناحية المعنوية، أدت إلى تمكنا من استعادة العلاقات الفكرية بأهل العالم الحر، أو إلى تمكنا من التمهيد لها، وأدت إلى عودة تدريجية للتبادل العلمي بين المستشرقين الذين ظلوا في ألمانيا، وبين الذين آثروا الهجرة ... وعاد الاستشراق الألماني عضواً في جماعة العلماء الدولية^(١).

(١) تصرفنا في ترجمة أجزاء من هذا الفصل ... (المترجم).

الدراسات الإسلامية

اتساع ميدان العلم. دليل الاستشراق

كان علم الدراسات الإسلامية ذلك الفرع الصغير نسبياً في شجرة علوم الاستشراق، واضح المعالم والحدود نوعاً ما في مطلع القرن العشرين. فلما ظهر كتاب جوستاف پفانمولر في عام ١٩٢٢ «دليل الأدب الإسلامي» (استعملت الكتاب في حديثي عن الفترة القديمة في أكثر من موضع وأخذت عنه أحياناً حرفياً) كانت المادة التي عالجها العلماء المتخصصون في الاستشراق قد نمت نمواً عظيماً. ومنذ ذلك الحين حتى الآن ظهرت أبحاث تفصيلية وإجمالية كثيرة كثرة تجعل من المحال تقريباً أن يعرف الإنسان طريقه وسط الكمية الضخمة من النشريات أو حتى أن يلم بأسمائها وموضوعاتها بانتظام. وربما سهل الأمر على مَنْ عاصر العشرات الأخيرة من هذا النمو الهائل شخصياً، أما الطلاب الذين يهيون مادة الدراسات الإسلامية أنفسهم في الوقت الحاضر، فإن الوضع بالنسبة إليهم يلوح كأنه مُيَسَّر، فهم يجدون أنفسهم حيال جبل من المؤلفات المتخصصة، وبيحثون بلا جدوى عن مرشد، فلا يجدون.

لهذا كان اهتمام برتولد شپولر (١٩١١) بإخراج «دليل الاستشراق» أمراً يستوجب الترحيب في هذه الظروف، وهو كتاب يهدف إلى تمهيد الطريق أمام الطالب إلى مادة علوم الاستشراق المختلفة، على نحو منظم. وقد ظهر المجلد الأول الخاص بـ «تاريخ البلاد الإسلامية» يجمع فصلاً بقلم شپولر نفسه وبقلم ي. كيسلنج وه. شيل و ج. يشكه وآخرين في ثلاثة أجزاء عام ١٩٥٢ و ١٩٥٣ و ١٩٥٩، وظهر المجلد الخاص بالأديان يجمع فصلاً بقلم يوهان فوك عن السنية، وبقلم ر. شتروتمن عن الشيعة والخوارج عام ١٩٦١. وظهر المجلد الخاص بالشرعية الإسلامية بتمهيد في الشرعية الإسلامية الأساسية بقلم أوتو شيبس وأ. بريتش، ويجمع فصلاً مختلفة عن الشرعية حديثاً في البلاد الإسلامية المختلفة (بقلم متخصصين أجانب) عام ١٩٦٤. ويلاحظ أن الأجزاء المكوّنة لهذا الكتاب الكبير جاءت متفاوتة نوعاً ما في لونها، كما يحدث عادة عندما يشترك نفر كبير من العلماء المتخصصين في إنشاء عمل واحد. على أن هذا الكتاب في مجموعه لا يعدو أن يكون معيناً أولياً يفيد المبتدئين خاصة.

والصعوبات الحقيقية لا يمكن التغلّب عليها بكتاب دليل ولو كان الكتاب الدليل مثالياً غير ذي تفاوت في أجزائه. وتصور إمكانية الإحاطة بكل ميادين الدراسات الإسلامية إحاطة علمية شاملة والقيام علاوة على ذلك بالبحث، على فرض توافر الوقت والطاقة، تصوّر يتأكد بمرور الوقت مدى ما يعتوره من وهم. وقد جمع برتولد شپولر ولودفيج فورر عناوين المؤلفات التي ظهرت في الفترة ما بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٩ خاصة بالشرق الأدنى وذلك في السلسلة التي يخرجها كارل هون عن تقارير الأبحاث العلمية، واحتاجا لذلك إلى أكثر من ٢٠٠٠ صفحة.

كذلك صنف ج. د. بيرسن «الفهرس الإسلامى» وهو قائمة تضم الدراسات التى نشرت بالمجلات ومجموعات المقالات خاصة بالدراسات الإسلامية (يعنى دون ما نشر فى شكل كتب) فى الفترة بين ١٩٠٦ و١٩٥٥، فزادت على ٢٦٠٠٠ عنوان، ثم أتبع الفهرس بمجلد للأعوام من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٠ يضم ما يزيد على ٧٢٠٠ عنوان. فمن ذا الذى يستطيع الإحاطة بمادة فى هذا الحجم؟ ليس أمام العلماء من حل سوى اختيار طائفة محدودة من الموضوعات من بين الكمىة الهائلة من موضوعات العلم والبحث المتشعبة، وتركيز البحث الخاص على نقط بعينها، والرضا فيما عدا ذلك بفكرة إجمالية عامة عن العلم فى مجموعته. وهذا هو ما حدث حتى الآن فعلياً، وإن يكن عن قصد وشعور واضح فى كل الأحوال. كل مستشرق له ميادين تخصصه التى يتقنها نوعاً ما، فى حين يعرف ميادين العلم الأخرى معرفة يشوبها النقص. وليس المهم أن يكون الإنسان عليماً بكل شىء، ولكن المهم هو أن يضع مجسئه على نقاط تتسم، إذا ما قيست بالمادة فى مجموعها، بالأهمية وتؤدى على هذا النحو إلى فهم شىء جوهرى. على أنه من المرغوب فيه، أن يقوم العالم المتخصص الذى تدفعه الظروف التى أشرت إليها، إلى أن يصبح متخصصاً فى موضوعات بعينها، بتلخيص نتائج أبحاثه وخلصه أفكاره وتوصيلها فى لغة مفهومة إلى زملائه فى التخصص من ناحية وإلى غير المتخصصين من ناحية ثانية. وهذه هى الوسيلة الوحيدة التى يمكن بها للمتخصص أن يضع نفسه فى إطار أوسع ينتج ما فيه النفع والفائدة. فإذا لم يفعل، تعرض لخطر التحوّل إلى شخص غريب الأطوار بما أوتى من علم متخصص.

والأرقام التي أشرنا إليها ممثلة للنمو الهائل في النشرية الاستشراقية، تعنى الإنتاج العالمى كله، لا الألمانى وحده، وللألمان فيها نصيب. ونصيب الألمان فيها خاصة فى فترة العشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة نصيب كبير، خاصة فى ميدان الدراسات الإسلامية.

طبغات كتب السير. دراسات المخطوطات وقوائم المخطوطات

يختص عدد كبير من نشرية الدراسات الإسلامية الحديثة بتسجيل النصوص العربية وإعدادها (وكذلك الفارسية والتركية)، وهو عمل يُعد تمهيداً هاماً للأبحاث التفصيلية التالية. هكذا اضطلع نفر من المستشرقين بإخراج طبغات من بعض كتب السير، فاشتغل هلموت ريتز و ز. ديدرنج بكتاب الصفدى الضخم «الوافى بالوفيات» وهو كتاب كأنه تكملة لكتاب ابن خلكان «وفيات الأعيان»، وأخرج منه (منذ ١٩٢١) أربعة مجلدات. ويشتغل يوزف فان إيس (١٩٢٤) حالياً بإخراج طبعة من الجزء التاسع. وقد نشر مانفرد فلايشمن (١٩٢٨) كتاب ابن حبان البستى «مشاهير علماء الأمصار» (١٩٥٩)، ونشرت زوزانه ديثالد - هيلتسر كتاب ابن المرتضى «طبقات المعتزلة» (١٩٦١)، ونشر رودلف زيلهايم (١٩٢٨) «كتاب سير العلماء لأبى عبد الله المرزبانى». (١٩٦٤) = «نور القبس المختصر من المقتبس فى أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء».

وينبغى أن نشير فى هذا المقام إلى الدراسات الكثيرة التى تناولت المخطوطات متفرقة أو مجموعات المخطوطات، خاصة فى استنبول والأناضول. وقد حفز إلى هذه الدراسات المستشرق هلموت ريتز الذى ظل يعمل فى استنبول سنوات عديدة. ونشر هلموت ريتز مجموعة من

الدراسات الهامة فى هذا الموضوع (ظهرت فى «أنباء استنبولية» ١، ١٩٢١، ثم تحت عنوان «فيلولوجيكا» فى مجلة «الإسلام» ابتداء من عام ١٩٢٨، وفى مجلة «أورينس» ابتداء من عام ١٩٤٨). وظهرت الدراسات التالية، بعضها باقتراح منه، وبعضها مستقلة عن تأثيره بقلم يوزف شاخت (١٩٠٢) «من مكتبات القسطنطينية والقاهرة» (١٩٢٨) و«من مكتبات القاهرة»، (٢، ١٩٢٠) و«من مكتبات شرقية» (٣، ١٩٢١). وبقلم أوتوشبيس (١٩٠١) «دراسات فى تاريخ الأدب العربى. رجال قانون، مؤرخون، علماء حديث» (١٩٢٢) وبقلم ماكس فايسفايلر (١٩٠٢) «دراسات فى المخطوطات الاستنبولية الخاصة بمدونات الحديث» (١٩٢٧). وبقلم ماكس كراوزه (١٩٠٩ - ١٩٤٤) «مخطوطات استنبولية لرياضيين إسلاميين» (١٩٣٦) وبقلم أوتو شبيس «مكتبات الحجاز» (١٩٢٦) وبقلم فالتر هينتنس (١٩٠٦) «دراسات فى مصادر تاريخ التيموريين» (١٩٣٦). وبقلم فريتس ماير (١٩١٢) «مخطوطات استنبولية لثلاثة متصوفين فارسيين» (١٩٢٧) وبقلم لودفيج فورر (١٨٩٧) «مخطوطات مؤرخين إسلاميين فى استنبول» (١٩٤٢) وبقلم جورج كريمر (١٩١٧ - ١٩٦١) «دراسات ليجاخو^(١) فى فقه اللغة العربية قديماً» (١٩٦١). وبقلم فيلهلم هونريخ (١٩١١) «فى بعض المخطوطات ببغداد وتطوان» (١٩٥٥)، وقد بدأ شتيفان فيلد (١٩٢٧) فى إنشاء وصف للمخطوطات العربية فى صنعاء.

وهناك مشروع هام بدأت الجمعية الشرقية الألمانية بمعاوضة جماعة البحث الألمانية عام ١٩٥٧ فى تنفيذها، وهو إعداد كاتالوج

(١) ليجاخو Legajo كلمة إسبانية تعنى، كما ذكر لى الأستاذ الدكتور رودى بارت فى خطاب أرسله لى، مخطوطات بالمكتبات الإسبانية لم تبوب بعد لأنها ناقصة. (المترجم)

للمخطوطات الشرقية فى ألمانيا، ويسير المشروع بخطى حثيثة تحت إشراف فولفجنج فوجت، أول مدير للجمعية، الذى يضطلع بالإشراف والتحرير الإجمالى. ولم يبدأ العمل بعد بالنسبة للدراسات الإسلامية والدراسات العربية. ويتلخص المشروع فى وصف الآلاف من المخطوطات العربية والفارسية والتركية التى لم تبوب بعد. وقد اضطلع رودولف زيلهايم (١٩٢٨) بالعمل فى المخطوطات العربية بالاشتراك مع باول فرنست (١٩٢١) وإيخالد فاجنر (١٩٢٧) وفولفجنج رويشل (١٩٢٤) وح. جنجانى/ تونس. أما العمل فى المخطوطات الفارسية فيقوم به فيلهلم إيلرس (١٩٠٦) مع فيلهلم هاينتس، وفى المخطوطات التركية مانفرد جوتس وباربرا فلمنج وهنّا زورشايد.

بلاد العرب قديماً . محمد والقرآن

ظهرت كتب تعالج البلاد العربية قديماً، منها الجزء المسمى «بلاد العرب» الذى ظهر عام ١٩٦٣ فى إطار الكتاب الأساسى فى علوم الآثار، وألفه أدولف جرومن (١٨٨٧)، والجزءان اللذان صدرا حتى الآن من كتاب «العرب فى العالم القديم» (١٩٦٣ و ١٩٦٥) من تأليف ف. ألتهام ور. شتيل. هذا إلى مقالات صغيرة ولكن قيمة، ظهرت حديثاً منها: من تأليف فرنر كاسكل (١٨٩٦) «مملكة لحيان العربية» (١٩٥٠) و«لحيان واللحيانية لغة وثقافة مملكة عربية قديمة» (١٩٥٤)، و«أهمية البدو فى تاريخ العرب» (١٩٥٣) و«كشوف فى بلاد العرب» (١٩٥٤). ومن تأليف يوزف هينيجر (١٩٠٦) «التضحية غير الدموية بالحيوان فى عصر ما قبل الإسلام، من وجهة نظر علم الأجيال» (١٩٥٠)، «هل ما يسمى تقرير نيلوس مصدر علمى دينى صالح للاستعمال؟» (١٩٥٥) و«التضحية

بالبشر عند العرب» (١٩٥٨) «في علم التنجيم وتقديس النجوم في شمال ووسط بلاد العرب» (١٩٥٤) و«الاعتقاد في الأرواح عند العرب قبل الإسلام» (١٩٦٣). كذلك ينبغي أن نشير إلى الدراسات الآتية: من تأليف يوزف كورت زولفرنك (١٩٣٤) إشارات إلى صيغ تشريعية عربية قديمة في القرآن» ومن تأليف اليونوره هوبتر (١٩٣٩) «إشارات قرآنية إلى الثقافة المادية للعرب الأقدمين» (١٩٦٥). وفي عام ١٩٤٥ أصدرت روزه كلينيكه - روزنبرجر ترجمة ذات تعليق لكتاب الأصنام لابن الكلبي. وعمما قريب يظهر بقلم فرنر كاسكل تحليل نقدي ضخيم لكتاب النسابة هشام ابن محمد الكلبي. وهناك نشرات، بعضها ضخيم، بقلم كارل راتينس (١٨٨٧) وماريه هوفتر (١٩٠٠) وهرمن فون فيسمن (١٨٩٥) تختص بالجغرافية التاريخية وبجنوب الجزيرة العربية خاصة، ولا حاجة بنا هنا إلى الدخول في تفصيلاتها. ولا بأس من أن ننوه هنا إلى أن هرمن فون فيسمن أنتج أعمالاً أخرى منها خريطة البلاد العربية قبل الإسلام، ونعني الخريطة المهمة المفيدة التي ظهرت في كتاب «بلاد العرب» لجرومن، الصادر عام ١٩٦٣.

وهناك مقالات عديدة نشرت في المجالات حول محمد والقرآن، بعضها من تأليف يوهان فوك (١٨٩٤) وبعضها من تأليفى. وقد حاولت تلخيص الوضع الحالي للبحث في هذا الموضوع في كتابي الصغير «محمد والقرآن .. تاريخ النبي العربي وبعثته» (١٩٥٧) الذي توجهت به إلى طبقات أوسع من القراء (ظهرت منه طبعة ثانية عام ١٩٦٦). ونشرت عام ١٩٥٠ اعتماداً على عيّنك ترجمة للسورة الثلاثين من القرآن مقالاً عن «حدود بحوث القرآن». وقد ظهرت بين عامي ١٩٦٣ و١٩٦٦ ترجمة ألمانية كاملة للقرآن بقلمى هي ثمرة اشتغال عميق بالنص القرآني استمر

سنوات طويلة، وتقصد هذه الترجمة إلى المساعدة على فهم القرآن فهمًا تاريخيًا، فهي تصوغ الأجزاء المختلفة على النحو الذى أعتقد أنها عنيت به عندما نطق بها النبى العبرى، وكثيرًا ما تضيف إضافات معيَّنة لتوضح العبارة الأصلية التى كثيرًا ما تتصف بالإيجاز والاقتضاب، وتضع هذه الإضافات بين أقواس حتى يفرق بينها وبين النص الأسمى. وتتجه نيتى إلى نشر تفسير القرآن (بمعجم مفهرس) فى الأعوام القادمة. ويقوم هلموت جيتيه (١٩٢٧) بإعداد الجزء الخاص بالقرآن وعلماء القرآن، «لمكتبة الشرق» التى يخرجها ج. ز. فون جرونباوم.

التاريخ السياسى والثقافى

يحتل قطاع التاريخ من الدراسات الإسلامية، استنتاجًا من عدد النشريات التى اختصت به، مكان الصدارة فى الأهمية. وكان من بين هذه النشريات مؤلفات شاملة مثل كتاب فرنس تيشنر (١٨٨٨) «تاريخ موجز للعالم العبرى» الذى ظهر عام ١٩٤٤، وأعيد طبعه مرة أخرى عام ١٩٦٤ بعد إضافة فصل «العالم العبرى فى عصر القوميات» بقلم فريتس شتبيات (١٩٢٢). وينبغى أن نشير إلى الدراسات التالية التى ظهرت فى تاريخ العالم طبعة پروبيلين الجديدة: بقلم روى پارت «الإسلام والعرب قبيل نهاية العصر الوسيط» (١٩٤٠) وبقلم فرنس تيشنر «إيران فى العصر الوسيط» (١٩٤٠)، وبقلم رودولف تشودى (١٨٨٤ - ١٩٦٠) «التاريخ العثمانى حتى نهاية القرن السابع عشر» (١٩٤١). وإلى الدراسة الدسمة الهامة «الإسلام» التى كتبها جوستاف إدموند فون جرونباوم ١٩٠٩ ونشرها فى آخر طبعة من تاريخ العالم للناشر پروبيلين (١٩٦٢). وقد عالج رودولف تشودى موضوع «انتشار الإسلام حتى عام ٧٥٠»

(١٩٥٦) فى المجلد الخامس من تاريخ العالم Historia Mundi . وقد سبق أن أشرنا إلى «تاريخ البلدان الإسلامية» فى دليل الاستشراق، وفيه عالج برتولد شپولر (١٩١١) «عصر الخلفاء . نشأة وسقوط الإمبراطورية الإسلامية» (١٩٥٢) و«عصر المغول» (١٩٥٣) والجزء الثالث من هذا التاريخ يختص بالعصر الحديث (١٩٥٩) ويضم الفصول الآتية: بقلم هانس يواخيم كيسلنج (١٩١٢) «الدولة العثمانية حتى ١٧٧٤»، وقلم هلموت شيل (١٨٩٥) «التاريخ العثماني من ١٧٧٤ إلى ١٩١٨»، وقلم جوتهارد بيشكه (١٨٩٤) «تاريخ تركيا منذ هدنة مودروس»، وقلم هلموت براون «تاريخ إيران منذ ١٥٠١»، وقلم إرنست كلينجموللر (١٩١٤) «العالم العربى فى العصر الحديث» و«تاريخ مصر منذ ١٧٧٩» وقلم هربرت هرتل (١٩٢١) «تاريخ الجزء الأدنى من الهند منذ ١٥٢٥». وقد عالج جوستاف ريشتر (١٩٠٦ - ١٩٣٩) فى موجز قصير موضوع «الصورة التاريخية عند المؤرخين العرب فى العصر الوسيط» (١٩٣٣)، وترجمت أنيمارى شيمل (١٩٢٢) أجزاء مختارة من مقدمة ابن خلدون (١٩٥١). ونشير فى هذا المقام إلى الطبعة الجديدة من الوسيلة التاريخية الهامة «جداول فوستفلد مالر المقارنة للتقويم الإسلامى والإيراني مع جداول لتحويل التواريخ الشرقية والميلادية» التى ظهرت عام ١٩٦١ بتقيق برتولد شپولر وتجديده.

وتدور غالبية الدراسات التاريخية حول فترات تاريخية محددة تحديداً ضيقاً، حول تواريخ أسر، أو حول مجموعة من مجموعات البلدان التى تحللت إليها الدولة الإسلامية الكبيرة فى العصر العباسى. وتُضاف إلى هذه الموضوعات موضوعات مناقشة أسس الثقافة الإسلامية وعلاقتها بالهللينية. وهناك مجالان تاريخيان خاصان شملتهما الدراسة المنظمة وتوسعت فيهما هما: مجال كشف أوراق

البردى ودراستها، ومجال جمع الوثائق ونشرها وخاصة ما كانت منها متصلة بتاريخ الإدارة. ويرجع إلى أدولف جرومن (١٨٨٧) فضل الاشتغال بأوراق البردى والعناية بدراستها، ويرجع إلى هانس روبرت رويمر (١٩١٥) فضل العناية ببحوث الوثائق.

ونشير فيما يلى إلى النشريات الخاصة بالقطاعات المختلفة، وبحول مقتضى الحال بيننا وبين السعى إلى شمول النشريات كلها:

العصور الأولى . العصر الأموى . العصر العباسى

من أعمال فيلهلم هونريخ (١٩١١) «فصل من كتاب الردة لأبى زيد ابن الفرات الفارسى استخلصه من كتاب الإصابة لابن حجر. دراسة فى تاريخ تدهور القبائل العربية بعد موت محمد» (١٩٥١)، وبقلم يوزف لاتس «كتاب الوزراء والكتاب لابن عبدوس الجهشياري. العصور الأولى وعصر بنى أمية». (ترجمة ١٩٥٨)، وبقلم ألبرت ديترش (١٩١٢) «الوصية السياسية للخليفة العباسى الثانى المنصور». (١٩٥٤)، وبقلم فالتر هليجه «وصاية الموفق» (١٩٣٦) وبقلم مانفرد فلايشهمر (١٩٢٨) «أسرة يزيدى . أثرها الأدبى ومكانتها فى البلاط العباسى» (١٩٦٢)، و«بنو المنجم . أسرة بغدادية من العلماء من القرن الثانى إلى الرابع الهجرى» (١٩٦٣)، ومن تأليف فيلهلم هونريخ «فى إدارة الجيش أيام العباسيين» (١٩٥٠).

تاريخ مصر

بينما تعالج الكتب التى أشرنا إليها موضوعات من العصور الأولى ومن عصر الأمويين والعباسيين، تعالج المؤلفات الآتية تاريخ مصر

خاصة. هناك من تأليف أدولف جرومن (١٨٨٧) «دراسات فى الجغرافيا التاريخية وفى الإدارة فى مصر بالعصر الوسيط المبكر» (١٩٥٩)، وبقلم ديتير موللر - فودارج، «الزراعة فى مصر فى العصر العباسى المبكر» (١٩٥٤ - ١٩٥٧ - ١٩٥٨)، وبقلم هانس ل. جوتشالك (١٩٠٤) «المضرائيون. دراسة فى تاريخ مصر الإسلامية» (١٩٢١) و«الملك الكامل وعصره» (١٩٥٨) وبقلم هانس ر. رومر (١٩١٥) «تاريخ بن الدودارى، الجزء التاسع. أخبار السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون» (١٩٦٠)، وبقلم جوتس شريجه (١٩٢٢) «سلطانة مصر» (١٩٦١) وبقلم أنيمارى شيمل (١٩٢٢) «الخليفة والقاضى فى مصر بالعصر الوسيط» (١٩٤٢) وبقلم صبحى لبيب (١٩٢٤) «تاريخ التجارة بمصر فى العصر الوسيط المتأخر» (١٩٦٥).

وينبغى أن نشير فى هذا المقام إلى الجهود التى بذلت للكشف عن الوثائق البردية العربية الكثيرة ودراساتها والإفادة منها، هذه الوثائق البردية كلها من مصر، وتشكل قبل كل شىء آخر مادة لتاريخ العصر الوسيط المبكر الإسلامى فى مصر. نشط فى هذا الميدان بصفة خاصة أدولف جرومن (١٨٨٧) وعالج مجموعات كاملة من البرديات فى نشرات نذكر منها «أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية» (١٩٣٤ - ١٩٥٥)، وكتب دراسات متعددة فى مشكلات البحث فى أوراق البردى العربية، وله كذلك كتاب تحت الطبع «تمهيد إلى دراسة الأوراق البردية العربية، ومنتخب منها». وقد ظهر الجزء الأول (التمهيد) منذ عام ١٩٥٤. كذلك نشر ألبرت ديترش (١٩١٢) أوراق بردى عربية ورسائل عربية من مكتب الدولة والجامعة الهامبورجية (١٩٢٧ - ١٩٥٥).

تاريخ فارس

هناك مؤلفات كثيرة كثيرة خاصة عن تاريخ فارس. من أعمال برتولد شپولر (١٩١١) «عملية تحول فارس إلى الإسلام» (١٩٥٠) و«إيران في العصر الإسلامي المبكر . السياسة والثقافة والإدارة والحياة العامة بين الغزو العربي والغزو السلجوقي، من ٦٢٢ إلى ١٠٥٥» (١٩٥٢) وبقلم هريبرت بوسه (١٩٢٦) «البويهيون في العراق . السياسة والدين والثقافة والاقتصاد، ٩٤٥ - ١٠٥٥» (١٩٦٥)، وبقلم ي. كريستوف بورجل (١٩٢١) «الرسائل الديوانية لعهد الدولة» (١٩٦٥)، وبقلم هريبرت هورست (١٩٢٥) «حكومة السلاجقة الكبار والخوارزمشاه. دراسة تعتمد على وثائق من العصر» (١٩٦٤)، وبقلم هريبرت ف. دودا (١٩٠٠) «تاريخ السلاجقة لابن بيبى» (١٩٥٩)، وبقلم برتولد شپولر «الجحافل الذهبية. المنقول في روسيا ١٢٢٣ - ١٥٠٢» (١٩٤٢، طبعة ثانية ١٩٦٥) وبقلم هانس ر. رويمر (١٩١٥) «مقترحات لجمع وثائق تاريخ فارس الإسلامي» (١٩٥٤) و«في وثائق تاريخ مصر وفارس في العصر الإسلامي» (١٩٥٧)، وبقلم هريبرت بوسه «نظرة إجمالية في علم الوثائق الفارسية. نتائج ومشكلات». (١٩٦١)، وبقلم هريبرت هورست «تيمور وخوجه على. دراسة في تاريخ الصفويين» (١٩٥٨)، وبقلم هانس ر. رويمر «تاج السلماي، شمس الحسن. تاريخ التيموريين من وفاة تيمور إلى عام ١٤٠٩. النص الفارسي، مترجم إلى الألمانية» (١٩٥٦) و«الرسائل الديوانية في عصر التيموريين. الشرفنامه لعبد الله مروريد في دراسة تقييمية نقدية» (١٩٥٢)، وبقلم فالتر هينتنس (١٩٠٦) «صعود إيران إلى دولة قومية في القرن الخامس عشر» (١٩٣٦)، وبقلم هنا زورفايده «انتصار الصفويين وتأثيره العكسي على شيعة الأناضول في القرن

السادس عشر» (١٩٦٥)، وبقلم هانس ر. رويمر «تدهور إيران بعد موت إسماعيل الفطيع ١٥٧٧ - ١٥٨١» (١٩٢٩)، وبقلم هانس مولر (١٩٢٧) «خلاصة التواريخ للقاضي أحمد قومي. الجزء الخاص بالشاه عباس الثاني، نشر وترجمة» (١٩٦٤)، وبقلم هريبرت بوسه «دراسات في نظام الديوان الإسلامي تعتمد على وثائق تركمانية وصفوية». (١٩٥٩)، وبقلم كلاوس ميشائل روريورن «أقاليم فارس والحكم المركزي بها في القرن السادس عشر والسابع عشر». (١٩٦٥)، وبقلم فالتر هينتس «نظام الحسابات في بيوت المال الشرقية بالعصر الوسيط» (١٩٥٠).

التاريخ العثماني

من ميادين البحث الهامة ميدان التاريخ العثماني. وقد سبق أن أشرنا إلى فرانتس بابنجر (١٨٩١) في موضع آخر باعتباره ممثلاً لهذا التخصص من الدراسات الاستشراقية. وهناك أيضاً پاول فيتك (١٨٩٤) الذي دفع البحث في التاريخ القديم والتاريخ المبكر للدولة العثمانية إلى الأمام بكتابه «إمارة منتشه. دراسات في تاريخ غرب آسيا الصغرى في الفترة من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر». (١٩٢٤) و«ازدهار الإمبراطورية العثمانية» (١٩٢٨). أما إخراج الطبقات ومعالجة المصادر فنذكر من بينها: من أعمال فريدرش جيزه (١٨٧٠ - ١٩٤٤) «كتب تاريخ عثمانية مجهولة المؤلف» (١٩٢٥) و«التاريخ العثماني القديم لاشيكباشازاده» (١٩٢٩)، وبقلم فرنس تشنر (١٨٨٨) «جيهانومه. التاريخ العثماني القديم لمولانا محمد نشري» (١٩٥١ - ١٩٥٥)، وبقلم هاينتس هلموت جيزكه (١٩٠٢) «كتاب عزيز بن أردشير استرابادي. مصدر لتاريخ العصر الوسيط المتأخر في آسيا الصغرى». (١٩٤٠)، وهناك

دراسات أخرى نشير من بينها إلى دراسة فرنسيس تشنر «شبكة الطرق الأناضولية حسب المصادر العثمانية» (١٩٢٤ - ١٩٢٦) ومن أعمال برياره فلمنج (١٩٣٠) «تاريخ مناطق بامفيليا وبيسيديا وليكيا في العصر الوسيط المتأخر» (١٩٦٤)، ويقلم فالتر هينتنس «نظام الضرائب في شرق الأناضول في القرن الخامس عشر والسادس عشر» (١٩٥١)، ويقلم هانس يواخيم كيسلنج (١٩١٢) «دراسات لمعرفة تراقيا في القرن السابع عشر» (١٩٥٦)، ويقلم ريشارد فريدرش كرويتل (١٩١٦) «كارا مصطفى أمام هيينا. يوميات تركية لحصار هيينا عام ١٦٨٣ سجلها تشريفانجي الباب العالي» (١٩٥٥) و«في بلاد التفاحة الذهبية» (١٩٥٧)، ويقلم ريشارد فريدرش كرويتل بالاشتراك مع أوتو شبيس (١٩٠١) «أسير الكفار. مغامرات الترجمان عثمان أغا التمسواري، يروها بنفسه». (١٩٦٢). هذا وقد عالج فرنسيس تشنر في دليل الاستشراق «الأدب العثماني» (١٩٦٣).

التاريخ الثقافي

أسهم جوستاف أ. فون جرونيباوم (١٩٠٩) في دراسات التاريخ الثقافي إسهاماً كبيراً الأهمية يتمثل في كتابه «الإسلام في العصر الوسيط» الذي ظهر عام ١٩٦٣ كالمجلد الأول من «مكتبة الشرق» التي يخرجها المؤلف نفسه. أما الموضوعات التفصيلية فتتوسطها حتى اليوم دراسة علاقة الإسلام بالهللينية. هناك من أعمال هانس هاينرش شيدر (١٨٩٦ - ١٩٥٧) «الشرق والتراث الإغريقي»، ومن أعمال رودى پارت «الإسلام والثقافة الإغريقية» (١٩٥٠)، ويقلم هانس ل. جوتشالك (١٩٠٤) «الإسلام والمسيحية والهللينية» (١٩٥١) وكذلك «تقبل الإسلام

للعولم القديمة». (١٩٦٥)، وبقلم برتولد شبولر (١٩١١) «التفكير الهليني في الإسلام» (١٩٥٤)، وبقلم يورج كريمر (١٩١٧ - ١٩٦١) «مشكلة تاريخ الثقافة الإسلامي» (١٩٥٩)، وبقلم هلموت جيتيه (١٩٢٧) «أفكار في مشكلة التاريخ الثقافي الإسلامي» («العالم كتاريخ» ١٠٦٠)، وبقلم فرنس روزنتال (١٩١٤)، «بقاء الثقافة الإغريقية في الإسلام» (المجلد الثاني من «مكتبة الشرق»، ١٩٦٥).

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى دراسات ثلاث اختصت بموضوع العلاقات الأدبية بين الثقافة الإغريقية والثقافة العربية، دراسة يورج كريمر «الأصل العربي لكتاب التفاحة «Liber de Pomo» المنسوب إلى أرسطو». (١٩٥٦)، و«أبيات هوميرية في العربية» (١٩٥٦)، ودراسة مانفريد أولمن (١٩٣١) «الرواية العربية لما يسمى بحكم ميناندر» (١٩٦١). وينيوي بيتر باخمن (١٩٣٦) التخصص في العلاقات الثقافية الإغريقية العربية ببحوث علمية ينشئها في هذا الميدان. أمّا يورج كريمر الذي كان يداعبه هذا الأمل نفسه فقد اختطفه الموت مبكراً.

وهناك بقلم أوتو شپيس (١٩٠١) مؤلفات صغيرة الحجم تدور حول العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب: «آثار ثقافية شرقية في الغرب» (١٩٤٩)، و«الشرق في الأدب الألماني» (١٩٤٩ - ١٩٥٠)، و«موضوعات شرقية في حكايات الأخوين جريم» (١٩٥٢). وقد قامت كاتارينا مومزن (١٩٢٥) في إطار البحث في أعمال جوته بتتبع المؤثرات الشرقية التي أثرت عليه وأنشأت: «جوته وألف ليلة وليلة» (١٩٦٠) و«جوته والمعلقات» (١٩٦٠) و«جوته وديتس» (١٩٦١).

ويعمل هاينتس هوجو جروتسفلد (١٩٣٢) حالياً في دراسة تاريخية ثقافية للحمام، وهانس موللر (١٩٢٧) في دراسة للرق في صدر الإسلام.

ونختم عرضنا هذا بالتنويه بثلاث نشریات تدور حول الجغرافيا التاريخية: «المانيا والبلاد المجاورة لها حسب جغرافية الإدريسي الكبيرة» (١٩٣٨) و«مسار العبدري في شمال أفريقيا في عام ١٢٨٩/٦٨٨» (١٩٤٠) بقلم فيلهلم هونريخ (١٩١١) و«خريطة كولومبوس المفقودة التي ترجع إلى عام ١٤٩٨ حسب خريطة تركية للعالم ترجع إلى عام ١٥١٣» (١٩٣٣) بقلم پاول كاله (١٨٧٥ - ١٩٦٤).

أصول الدين الإسلامي وتاريخ العقائد والفرق والتنسك والتصوف والطوائف . العادات والثقافة المادية

سبق أن أشرنا إلى كتاب هرمن شتيجلكر عن «المذاهب الفقهية في الإسلام» (١٩٦٢) وإلى الدراسات التي أسهم بها هلموت ريتز في تاريخ الدين الإسلامي والتصوف الإسلامي. وينبغي أن نضيف هنا إلى ما سبق أن ذكرناه من أعمال ريتز: «دراسات في تاريخ التنسك في الإسلام. بداية فرقة الحروفية» (١٩٥٤)، «احتفالات مولانا في قونيه من ١١ إلى ١٧ ديسمبر ١٩٦٠» (١٩٦٢)، وطبعة كتاب فريد الدين عطار «الهي نامه» (١٩٥٣). وهناك دراسات مستقلة جديده عن إحياء علوم الدين للغزالي، منها «دراسات في كتاب التوبة للغزالي» بقلم زوزانه فيلتسر (١٩٥٧ - ١٩٥٨) و«في العادات الطيبة في المآكل والمشرب. (آداب الأكل) الكتاب الحادي عشر من الإحياء للغزالي» (١٩٦٤). وهناك بقلم يوزف فان إس (١٩٣٤) عرض عميق بعنوان «أفكار الحارث المحاسبى بناء على ترجمات لكتابات» (١٩٦١)، ومقال اسمه «الملحدون والشكاك في الإسلام» (١٩٦٤)، هذا ويُعد يوزف فان إس طبعة لمؤلفات المحاسبى الصغيرة وتفسيراً للكتاب الأول من «المواقف في علم الكلام» للإيجي

تحت عنوان «مواد فى نظرية المعرفة بالفقه الإسلامى»، تحت الطبع. وقد أخرجت زوزانه ديفلد - فيلتسر كتاب المرتضى «طبقات المعتزلة» (١٩٦١)، وقام إرنست ماينتس بأبحاث فى «الأخلاق عند المعتزلة» (١٩٢٥). وهناك أبحاث أخرى نذكرها فى هذا المقام: «الماتريدى وكتابه تأويلات القرآن» (١٩٦٥) بقلم مانفريد جوتس، و«الفاطميون وقرامطة البحرين» (١٩٥٩) بقلم فيلبرد ماديلونج وبقلم ماديلونج أيضاً: «الإمامة فى فجر المذهب الإسماعيلى» (١٩٦١) و«الإمام القاسم بن إبراهيم ومذهب الزيديين» (١٩٦٥).

وهناك أعمال كثيرة تدور حول التصوف والفرق. من أعمال فالتر براونه (١٩٠٠) «فتوح الغيب لعبد القادر» (١٩٣٣)، ومن أعمال فريتس ماير/ بازل (١٩١٢) «فى التصوف الإسلامى» (١٩٤٣)، و«حياة الشيخ أبى إسحق الكازرونى» (١٩٤٨) و«فواتح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين الكبرى» (١٩٥٧) و«ترتيب السلوك للقشيري» (١٩٦٣). وبقلم ي. ك. تويفل (١٩١٦) «سيرة الشيخ على حمدانى» (١٩٦٢)، ومن أعمال هانس يواخيم كيسلنج (١٩١٢) «مناقب نامه للشيخ بدر الدين» (١٩٥١) و«من تاريخ طائفة الخلوتية» (١٩٥٣) و«فى تاريخ طائفة دراويش البيرمية» (١٩٥٦) و«كرامات الدراويش» (١٩٥٧) و«طرف من أخبار طائفة الزنية فى الدولة العثمانية» (١٩٦٤). وبقلم مارى لويزه بريمر «مذكرات الدراويش التركى أشى داره إبراهيم» (١٩٥٩)، وبقلم إيرينه بلديكانو شتاينهر «الشيخ أفتاده، مؤسس طائفة الخلوتية» (١٩٦١)، وبقلم ريشارد جرامليش «فرق الدراويش الشيعة فى فارس. الجزء الأول: الانتساب» (١٩٦٥)، وبقلم أنيمارى شيميل (١٩٢٢) «اللغة التصويرية لجلال الدين الرومى» (١٩٤٩) و«حياة ابن الخفيف» (١٩٥٦)، وقد

اتجهت أنيمارى شيميل حديثاً إلى الاشتغال على نحو عميق بالتصوف الإسلامى فى المنطقة الهندية. وقد سبق أن أشرنا من قبل إلى أعمال يوزف فان إس فى المحاسبى.

هناك دراستان حديثتان عن العادات فى صدر الإسلام، تستمدان مادتهما من ابن سعد والبخارى: «عادات الدفن العربية فى صدر الإسلام» (١٩٥٤ - ١٩٥٧) بقلم إيرينه جروتر و«أشكال التعامل بين الناس فى مجتمع المدينة بعصر صدر الإسلام» (١٩٦٣)، وقد أشرنا من قبل إلى ترجمة هانس كندرمين للكتاب الحادى عشر من إحياء علوم الدين للغزالي «آداب الأكل» «العادات الطيبة فى المأكل والمشرب»، ودراسته التى يتبع فيها هذه العادات إلى ما وراء حدود الإسلام على الأرض الأوروبية. ولدنا من أعمال هانس ألكسندر فينكر (١٩٠٠ - ١٩٤٥) عدد من الدراسات الفلكلورية العميقة منها: «أختام وأشكال فى السحر عند المسلمين» (١٩٣٠)، «سليمان والقرينة» (١٩٣١) و«زراع بين الماء والصحراء» (١٩٣٤) و«أرواح الموتى الراكبة» (١٩٣٦) و«فلكلور مصرى» (١٩٣٦). أمّا أعمال إنو ليتمن (١٩٧٥ - ١٩٥٨) فى هذا الميدان فنذكر منها: «عبارات استحضر الأرواح فى مصر» (١٩٥٠) و«أناشيد عربية إسلامية للأولياء» (١٩٥١). وهناك بقلم تسييزرا دوبلر (١٩١٥) «فى تقديس القبور والأولياء عند المسلمين» (١٩٦٠) ويقلم رودولف كريس (١٩٠٣) وهوبرت كريس - هاينرش: «الإيمان الشعبى فى محيط الإسلام» (المجلد الأول: الحج وتقديس الأولياء، ١٩٦٠ والمجلد الثانى: الأحجية والأعمال والتعاويد، ١٩٦٢). وهناك بقلم إرنست راکو (١٨٨٨ - ١٩٥٩) «دراسات فى معرفة الثقافة المادية فى شمال غرب المغرب» (١٩٥٨).

الشريعة الإسلامية

فقد الاستشراق فى ميدان تخصص تاريخ الشريعة الإسلامية الكثير لهجرة يوزف شاخت (١٩٠٢)، وكان قد أصدر فى عام ١٩٢٥ بمجلة «الإسلام» دراسة باللغة الألمانية بعنوان: «نظرة اجتماعية للشريعة الإسلامية». أما كتابه الذى أثار الانتباه «أصول الشريعة الإسلامية» (١٩٥٠) والذى صدر باللغة الإنجليزية فإنه لا يدخل بالطبع ضمن المدونات الألمانية. على أن الحقبة الأخيرة شهدت مجموعة كبيرة من الدراسات الألمانية فى مسائل الشريعة الإسلامية. فقد نشر فيلهلم هونريخ (١٩١١) منذ وقت قليل «وثائق إسبانية إسلامية من عصر بنى نصر والموريسكوس» (١٩٦٥) مع دراسة لها فى مؤلف كبير. كذلك أخرج هانس إرنست (١٩٢٦) طبعة وترجمة وشرحاً «الوثائق السلطانية المملوكية فى دير سيناء» (١٩٦٠)، وأنشأ ألبرت ديتريش (١٩١٢) تقريراً عن الوضع الراهن لأبحاث الشريعة القائمة على الوثائق العربية» (١٩٥٧). وهناك من أعمال إريش بريتش (١٨٧٧ - ١٩٦١) وأوتو شبيس (١٩٠١) دراسات تدور حول موضوعات تفصيلية من الشريعة الإسلامية، قاما بها أحياناً مشتركين، منها مثلاً: «عقود التوريد فى الإسلام» (١٩٥٦) و«اللقيط فى القانون الإسلامى» (١٩٥٧)، ومن أعمالهما أيضاً «الشريعة الإسلامية التقليدية» الذى سبق أن أشرنا إليه والذى ظهر فى دليل الاستشراق (١٩٦٤)، بثبت مفصل للمراجع والمصادر. ومن أعمال إرفين جريف (١٩١٤): «نظام القضاء والتقاضى فى الشريعة الإسلامية» (١٩٥٥)، و«مشكلة عقوبة الإعدام فى الإسلام» (١٩٥٧)، و«الصيد والذبيحة فى الشريعة الإسلامية» (١٩٥٩)، و«المفاهيم الدينية والشرعية عن الأسرى فى الإسلام والمسيحية» (١٩٦٣)، و«نظام

التقاضى لدى البدو المعاصرين» (١٩٥٢). وبقلم يوزف هيننجر (١٩٠٦) «حق الملكية عند البدو فى الجزيرة العربية حالياً» (١٩٥٩) وبقلم فريدريش زيلله «قانون الإجراءات فى الدولة العثمانية فى القرن السادس عشر» (١٩٦٢). كذلك هناك أبحاث متفرقة تأخذ فى اعتبارها نظم التقاضى الحديثة فى البلدان الإسلامية، منها بقلم إريش بريتش «قانون الأحوال الشخصية التونسى» (١٩٥٨) وبقلم جوتشد يشكه (١٨٩٤) «نظام عقد الزواج حسب الشريعة التركية» (١٩٤٠ - ١٩٥٢).

الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية والرياضيات

كما تدهور النصيب الألمانى فى بحوث الشريعة الإسلامية بهجرة يوزف شاخت، كذلك أحدثت هجرة ريشارد فالتسر (١٩٠٠) ثغرة محسوسة فى صفوف المستشرقين الألمان الذين يشتغلون بمشكلات الفلسفة الإسلامية. ولكن فالتسر يأتى لحسن الحظ بانتظام من وطنه الإنجليزى الجديد إلى هامبورج ليلقى محاضرات بوصفه أستاذاً زائراً فى موضوع تخصصه. أما الدراسات الألمانية الحديثة المختصة بموضوعات من تاريخ الفلسفة فنذكر منها: بقلم ألبرت ديترش (١٩١٢) «الصفة العربية لكتاب مجهول من تأليف إسكندر الافروديسى فى الفصل النوعى» (١٩٦٤)، ورسالتين من رسائل الدكتوراه واحدة بقلم پاول فرنست (١٩٢١) «مبحث الكون ومبحث الله من كتاب النكت والفوائد لابن سينا، ينشر لأول مرة مع ترجمة وشرح طبقاً للمخطوط الوحيد فيض الله ١٢١٧»، والأخرى بقلم هلموت جيتيه (١٩٢٧) «تلخيص كتاب الحس والمحسوس لابن رشد» ١٩٦١. ولدينا من أعمال جيتيه أيضاً مقالات قصيرة منها: «مذاهب فلسفية فى تأويل الأحلام فى الإسلام»

(١٩٥٩)، و«ابن رشد شارحاً لأرسطو» (١٩٦٤) و«كتاب الحس والمحسوس للقارابي عند البرتوس ماجنوس» (١٩٦٤).

وقد تعددت الدراسات الحديثة في تاريخ الطب. هناك من أعمال هلموت ريتز وريشارد فالتسر: «الترجمات العربية لأطباء إغريق في مكتبات استنبول» (١٩٢٤)، وبقلم هاينرش شيبيرجس «قدماء مترجمي الطب العربي في ثبث مرتب زمنياً» (١٩٥٥)، «إيديولوجيا العربية وكتابة التاريخ» (١٩٦١) و«إساعة العصر الوسيط اللاتيني للطب العربي» (١٩٦٤)، وبقلم هلموت جيتيه «نظرة في الطب الإسلامي بالعصر الوسيط» (١٩٦٢)، وبقلم أوتو شبيس (١٩٠١) «مقالات في تاريخ طب الأسنان عند العرب» (١٩٦٢)، و«ثلاثة فصول في طب المسالك البولية عند العرب» (١٩٦٤)، وبقلم بيتر بخمن (١٩٣٦) «مقال جليانوس في أن الطبيب الممتاز لا بد أن يكون فيلسوفاً، بالعربية والألمانية» (١٩٦٥) (وينوي بخمن إخراج طبعة وترجمة لشرح ابن النفيس على الأوبئة لأبقراط). ولا يفوتنا أن ننوه في هذا المقام بمقال ألبرت ديتريش (١٩١٢) «تجارة العقاقير في مصر الإسلامية» (١٩٥٤). ولألبرت ديتريش كتاب في «الطب العربي» تحت الطبع.

وقد سبق لنا أن أشرنا إلى دراسات ألفريد زيغل (١٨٨٤ - ١٩٥٩) في تاريخ العلوم الطبيعية، وهناك دراسات أخرى في الميدان نفسه نشير منها إلى دراسة بقلم يوليوس روسكا (١٨٦٧ - ١٩٤٩) وكارل جاربرس (١٨٩٨) «تنبيهات لصناعة السكاكين الحادة» (١٩٣٩)، وبقلم جاربرس «كتاب كيمياء العطر والتصعيدات، ليعقوب بن إسحق الكندي» (١٩٤٨)، وبقلم ماتياس شرام «طريق ابن الهيثم إلى علم الطبيعة» (١٩٦٣)، وبقلم پاول كاله (١٨٧٥ - ١٩٦٤) «الكوارتز الشفاف والزجاج

والبللور حسب كتاب الأحجار للبيروني» (١٩٣٦)، ومن أعمال هلموت ريتز ومارتن بلسنر (١٩٠٠) «بيكاتريكس. غاية الحكيم المنسوب إلى المجريطي» (١٩٦٢)، وبقلم ماكس كراوزه (١٩٠٩ - ١٩٤٤) «البيروني، باحث إيراني في العصر الوسيط» (١٤٩٢)، وكان ماكس كراوزه، الذي سقط في الحرب العالمية الثانية وهو في الخامسة والثلاثين، قد اتجه لدراسة الرياضيات العربية خاصة، وعالجها في رسالة الدكتوراه التي قدمها بعنوان «نظرية الأجسام الكروية لمينيلاوس السكندري في تصويب أبي نصر منصور بن علي بن عراق» (١٩٣٦). وقد أخذ مانفرد أولمن (١٩٣١) على عاتقه إعداد الجزء الخاص بـ «الطب والعلوم الطبيعية والعلوم الخفية في الإسلام» لدليل الاستشراق، وأخذ ماتياس شرام على عاتقه إعداد الجزء الخاص بـ «الرياضيات والفلك والطبيعات» في الكتاب نفسه.

علم الآثار وتاريخ الفن

برز في ميدان علم الآثار الإسلامية وتاريخ الفنون الإسلامية، بعد هجرة ريشارد اتنجهاوزن (١٩٠٦)، كورت إردمن (١٩٠١ - ١٩٦٤) إلى جانب أرنست كونل (١٨٨٢ - ١٩٦٤) الذي ظل حتى مماته يبحث ويدرس بلا كلل أو ملل. من أعمال كورت إردمن نذكر: «السجادة الشرقية اليدوية. محاولة لرسم تاريخ لها». (١٩٥٥)، «السجادة التركية في القرن الخامس عشر» (١٩٥٧)، «أوروبا والسجادة الشرقية» (١٩٦٢)، «حروف عربية كزخارف في الفن العربي بالعصر الوسيط» (١٩٥٣)، «الكرفان سراي في الأناضول في القرن الثالث عشر» (١، ١٩٦٣). وهناك من مؤلفات كاتارينا أوتودورن (١٩٠٨) خاصة «الفنون الإسلامية» (١٩٤١)،

«سيراميك تركي» (١٩٥٨)، «حفائر في رصافة الأموية» (١٩٥٧)، «الفن الإسلامي» (١٩٦٤). أمّا أعمال كلاوس بريش (١٩٢٢) الذي خلف إردمن في إدارة المتحف الإسلامي ببرلين فتدور حول مشكلات الفن الإسلامي الإسباني من الناحية الأثرية، وحول القصر الأموي في أسيس الذي يقوم بالتنقيب عنه. وقد حصلت دوروتيا دودا (١٩٢٧) على الدكتوراه عام ١٩٦٤ برسالة عن رسوم الكتب أيام الجلائريين وهي عاكفة حالياً على إعداد فهرس لزخارف الأسقف والجدران المتخذة من الخشب والحجر، ولأعمال المرمر والحجر الأخرى في مجموعة فرعون ببيروت. وينبغي أن نشير في هذا المقام إلى مؤلف ماكس فايسفايلر (١٩٠٢) «فن التجليد الإسلامي في العصر الوسيط» (١٩٦٢) ومؤلفه الآخر الذي ظهر (كنشيرية في إطار عملية تبويب المخطوطات الشرقية في ألمانيا) «البومات سراي. مجلدات لصقية لديتس من المجموعات البرلينية» (١٩٦٤) من إعداد م. س. ابشيروغلي. وهناك مجلد آخر عن الرسوم الإسلامية الصغيرة يُعدّه ي. ستخوكينه و ب. فلمنج و ب. لوفت. أمّا أنا فقد كتبت مقالاً في «نصوص في تحريم التصوير في الإسلام» (١٩٦٠) وأكتب حالياً مقالاً عن تحريم الصور عند الشيعة.

الوضع الراهن في العالم الإسلامي

العالم الإسلامي يتطور تطوراً عميقاً شاملاً، وتفرض الاتجاهات الحديثة فيه نفسها أكثر فأكثر. ويفتح هذا التحول ميداناً جديداً أمام الدراسات الإسلامية، تتلخص مهمتها فيه في التعرف على عملية التحول وفي تحليلها تحليلاً موضوعياً ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

وقد تعددت المؤلفات التي نشرت في هذا الميدان حديثاً، وتقتطف منها جانباً نذكره على سبيل المثال: بقلم فالتر براونه (١٩٠٠) «الشرق

الإسلامى بين الماضى والمستقبل» (١٩٦٠)، ومن نشر رودى پارت، «عالم الإسلام والعصر الحاضر»، سلسلة من المحاضرات المستقلة لنفر من المتخصصين (١٩٦١)، ومن أعمال يورج كريمير (١٩١٧ - ١٩١٦) «التجديد الإسلامى والتراث الإغريقى» (١٩٦٢)، وبقلم رودولف شتروتمن (١٨٧٧ - ١٩٦٠) «الدول الإسلامىة والغرب المسيحى اليوم» (١٩٥٩)، وبقلم جوستاف أ. فون جرونباوم (١٩٠٩) «المشكلة الفكرية فى التحول إلى الغرب من وجهة نظر العالم العربى» (١٩٥٩)، ومن أعمال فريتش شتيايات (١٩٢٢) «العالم العربى فى عصر القومية» (فى الطبعة الجديدة من «تاريخ العلم العربى» لفرنتس تشنر، ١٩٦٤) «والقومية والإسلام عند مصطفى كامل. دراسة فى التاريخ الفكرى للحركة الوطنية المصرية» (١٩٥٦) و«إيران بين الدول العظمى ١٩٤١ - ١٩٤٨» (١٩٤٨) وبقلم رودى پارت «فى مشكلة المرأة فى العالم العربى الإسلامى» (١٩٢٤)، وبقلم يوخن جنتس «فتاوى تونسىة عن الصيام فى رمضان» (١٩٦١).

وهناك مجموعة كبيرة من الدراسات تدور حول الأوضاع فى تركيا كتبها جوتهارد يشكه (١٨٩٤)، منها «فى أزمة الإسلام بتركيا» (١٩٤٤)، «الإسلام فى تركيا الجديدة» (١٩٥١)، «الوضع الراهن للإسلام فى تركيا» (١٩٥٩ - ١٩٦١)، «الخلافة الصورية عام ١٩٢٢» (١٩٥١)، «فى مشكلة المرأة فى تركيا» (١٩٥٩). وقد اهتم يشكه منذ فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى اهتماماً شديداً دقيقاً بالأحداث فى تركيا وأنشأ تقويمات تضمها، آخرها صدر عام ١٩٦٥ وعالج الفترة من عام ١٩٥٢ إلى ١٩٦١. أما أوتو شپيس (١٩٠١) فقد كتب فى المجلد ٢٥ من «عالم الإسلام» عن «النشر التركى المعاصر» (١٩٤٢)، وعالج فى دليل

الاستشراق «الأدب التركي الحديث» و«الأدب الشعبي التركي» (١٩٦٣)،
وأنشأ «منتخباً من الأدب التركي الحديث» (١٩٥٧)، وألّف مقالاً يعالج
موضوع «الفلاح التركي في الأدب القصصي». (١٩٥٦). وأما أنيمارى
شيمل (١٩٢٢) فقد قدمت لأفكار المجدد الهندي السير محمد إقبال
وترجمت من أعماله «كتاب الخلود» و«رسالة الشرق» من اللغة الفارسية
(١٩٥٧ - ١٩٦٣)، وألّفت مقالة عن رواية باللغة السنديّة تدور حول تنشئة
المرأة (١٩٦٤). ولا يفوتنا أن ننوّه إلى طرف من أعمال برتولد شپولر
(١٩١١) «وضع المسلمين في روسيا منذ عام ١٩٤٢» (١٩٥٠) و«وضع
المسلمين في جنوب شرق أوروبا منذ عام ١٩٤٥» (١٩٥٢)، و«آسيا
الوسطى تحت السيطرة السوفيتية» (١٩٦٥).

الدراسات العربية منذ عام ١٩٣٣

ظهرت في ميدان الدراسات العربية مؤلفات ونشرية كثيرة في العصر الحديث كما حدث في ميدان الدراسات الإسلامية، وبدأت مشروعات بحث هامة تتخذ طريقها إلى التنفيذ وتبشر بنتائج قيمة.

تاريخ اللغة والنحو

أتحفنا المستشرق يوهان فوك (١٨٩٤ مؤلف «الدراسات العربية في أوروبا» (١٩٥٥) ذلك الكتاب الذي أشرنا إليه من قبل، بكتاب أساسى فى تاريخ اللغة العربية هو «العربية . بحوث فى تاريخ اللغة العربية والأسلوب العربى» (١٩٥٠)، ولدينا من أعمال ألفريد بلوخ/ بازل (١٩١٥) بحوث بعنوان «النظم واللغة فى اللغة العربية القديمة» فى الأوزان والتراكيب، تعتبر ملحقاََ ثميناً لأعمال ركندورف. وينوى أربل بلوخ الموجود حالياً فى برلكى بكاليفورنيا (١٩٣٣) صاحب الدراسة «الاتباع فى اللغة العربية الفصحى» (١٩٦٥)، أن ينشئ قريباً كتاباً فى تراكيب الجمل بالعربية الفصحى، كذلك ينوى فولفجنج رويشل (١٩٢٤) صاحب الدراسة المسماة «الخليل بن أحمد، أستاذ سيبويه، نحوياً» (١٩٣٩) إنشاء دراسة

كبيرة عن «السمة والزمن في العربية الفصحى»، كما ينوي يوهان كارل تويفل (١٩١٦) وضع «دراسة مقارنة للأسلوب في العربية والألمانية». وهناك كتاب «أسرار البلاغة» للجرجاني، أصدره وترجمه هلموت ريتز (١٩٥٤ و١٩٥٩).

أما المقالات المتفرقة الخاصة بتراكيب الجمل فنذكر منها: من أعمال أنتون شبيتالر (١٩١٠) مقالاً بعنوان «تركيب ما راعه إلا ب... وما إليه» (١٩٥٢)، و«تركيب «الحمد لله» وما إليه. دراسة في تركيب الجمل العربية في الأزمنة الوسطى والحديثة» (١٩٦٢)، ومن أعمال هانس فير (١٩٠٩) «القوالب الجامدة في تركيب جمل عربية كتعبير وجداني» (١٩٥١)، «أفضل التفضيل في العربية» (١٩٥٢)، «في وظيفة النقى في اللغة العربية» (١٩٥٣)، ومن أعمال هانس فير أيضاً «خصائص اللفظة العربية الفصحى الحديثة مع مراعاة تأثير اللغات الأوروبية» (١٩٣٤)، و«تطور اللغة العربية المكتوبة في الحاضر ورعايتها التقليدية» (١٩٤٣). وهناك بقلم ريناته تيتس - ياكوبي (١٩٣٦) «جملة الشرط وتعبير الشرط في القرآن» (١٩٦٣)، وبقلم أدولف دنتس (١٩٣٥) «الخاصية الصوتية لحروف الحنجرة في اللغة العربية وتبويبها حسب علم الأصوات» (١٩٦٤).

أما كتب النحو الخاصة بالتدريس فقد ظهر منها في الفترة التي نعالجها: من تأليف كارل بروكلمن «النحو العربي»، الطبعة الثانية عشرة مجددة (١٩٤٨)، وظهرت الطبعة الثالثة عشرة (١٩٥٣) والرابعة عشرة مجددة بقلم مانفرد فلايشهمر (١٩٦٠). ومن وضع إرنست هاردر «النحو العربي الصغير»، جده رودي پارت (الطبعة الثالثة ١٩٣٨، الطبعة العاشرة ١٩٦٤).

كذلك صدرت أبحاث كثيرة جداً في اللهجات الحديثة، منها: بقلم هولفديترش فيشر (١٩٢٨) «أدوات الإشارة في اللهجات العربية الحديثة» (١٩٥٩)، وبقلم هانس رودلف زنجر (١٩٢٥) «أدوات الاستفهام في العربية الحديثة» (١٩٥٨)، وبقلم هاينتس هوجو جروتسفلد (١٩٢٢) «قواعد نطق وتصريف اللغة العربية الدمشقية» (١٩٦٤)، وبقلمه أيضاً بالاشتراك مع أريل بلوخ «نصوص عربية دمشقية» (١٩٦٤)، وله أيضاً «من فم شاهدين ... دراسة في التعرف على نظام نطق اللهجات العربية في سوريا ولبنان» (١٩٦٥)، و«قواعد اللهجة العربية السورية الدارجة في دمشق» (١٩٦٥). وبقلم شتيفان فيلد (١٩٢٧) «وظيفة التعبير عن النتيجة لاسم الفاعل في اللهجات السورية الفلسطينية من اللغة العربية» (١٩٦٤)، وبقلم يوزوا بلاو «تركيب الجمل في لهجة الفلاحين الفلسطينيين ببيرزيت» (١٩٦٠)، وبقلم ميشل بيها «اللهجة العربية في بشمزين» (١٩٦٤)، وبقلم جيورج كروتكوف «دراسات بغدادية» (١٩٦٤)، ومن أعمال هانس رودلف زنجر «نصوص عربية بلهجة مدينة تطوان» و«المميزات الأساسية لمورفولوجيا اللهجة العربية في تطوان» (١٩٥٨)، و«قواعد اللهجة العربية لتونس» (تحت الإعداد) وبقلم إيخالد حاجنر (١٩٢٧) «تركيب الجمل في لهجة مهري» (١٩٥٢) و«لهجة عبد الكوري» (١٩٥٩)، ومن أعمال شتيفان فيلد (١٩٢٧) «اللهجة العربية في تعز» و«أسماء أماكن لبنانية» (تحت الإعداد).

المعاجم

نبدأ عرضنا للدراسات الخاصة بموضوع المعاجم بالإشارة إلى طائفة قليلة من المقالات الهامة: بقلم شتيفان فيلد (١٩٢٧) «كتاب العين

ودراسات المعاجم العربية» (١٩٦٥)، وبقلم فلولفديترش فيشر (١٩٢٨) «الصفات الدالة على الألوان والأشكال فى لغة الشعر العربى القديم» (١٩٦٥)، ومن أعمال باول كونيتش «أسماء عربية للنجوم فى أوروبا» (١٩٥٩) و«بحوث فى قائمة الأسماء العربية للنجوم» (١٩٦١)، وبقلم هلموت جيتيه (١٩٢٧) «دراسات فى المعاجم العربية» (١٩٦٤).

أما جورج كريمر (١٩١٧ - ١٩٦١) فقد نشر مقالات فى المجالات اتخذ فيها رأياً فى الناحية النظرية من موضوعات المعاجم العربية، منها «دراسات فى المعاجم العربية القديمة» (١٩٥٢)، «مجموعات أوجست فيشر الخاصة بإنشاء قاموس عربى» (١٩٥٥). على أن أبرز نشاط لكريمر فى هذا الميدان هو إنشاء معجم جديد للعربية الفصحى يفى بالمتطلبات العلمية. وقد بدأ كريمر فى أول الأمر، متبعاً توجيهاً من إنو ليتمن، بإخراج الملاحظات التى دوّنها تيودور نولدكه بيده فى نسخته الخاصة من القاموس العربى اللاتينى لفرايتاج وحدها لتكون فى متناول عالم المتخصصين، وهكذا أخرج «معجم شواهد تيودور نولدكه للغة العربية الفصحى» (١٩٥٢ و ١٩٥٤) على هذا النحو، وشمل الحرف الأول من الأبجدية: حرف الألف. ولكن استئناف المشروع توسع توسعاً كبيراً من الناحية الشخصية ومن الناحية الموضوعية، وظهر هذا التوسع فى إعداد الجزء الأكبر من حرف الكاف، الذى يسمى «معجم اللغة العربية الفصحى، المعتمد على مجموعات أوجست فيشر وتيودور نولدكه وهرمن ركندورف ومصادر أخرى، تنشره الجمعية الألمانية الشرقية». فى هذا المعجم تذكر الاستشهادات العربية مكتوبة بالحروف اللاتينية، وتعطى المعانى باللغة الألمانية والإنجليزية. وقد ظهرت الملزمة الأولى عام ١٩٥٧ وأعدّها جورج كريمر وهلموت جيتيه (١٩٢٧) بالاشتراك مع

أنطون شبيتالر (١٩١٠)، وظهرت الملزمة الثانية عام ١٩٦٠ واشترك في إعدادها هلموت و أ. شبيتالر و ي. كريمر، وخرجت الملازم من الثالثة إلى السابعة بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٥ من إعداد مانفرد أولمن (١٩٣١) بالاشتراك مع أنطون شبيتالر. وقد أصبح القاموس الآن، رغم عدم اكتماله، عدة لا غنى عنها للمشتغل بالدراسات العربية ونأمل أن يتقدم العمل في هذا القاموس العظيم الذي يعتبر مثلاً نموذجاً لنشاط العلماء الألمان، فيشمل الأحرف الأخرى الباقية بعد أن ينتهي من حرف الكاف عام ١٩٦٦.

من الأعمال الأخرى في ميدان المعاجم العلمية نشير بصفة خاصة إلى قاموس هانس فيير (١٩٠٩) الممتاز «قاموس عربي للغة الكتابة في العصر الحاضر» (١٩٥٢)، الذي زاد بملحق إضافي (١٩٥٩) وترجم إلى الإنجليزية (١٩٦١)، والذي يعتبر أداة لا غنى عنها لقارئ النصوص العربية الحديثة. وقد أخرج ج. كرال في عام ١٩٦٤ قاموساً ألمانياً عربياً خفيفاً. وشرع جوتس شريجله (١٩٢٣) في إخراج قاموس ألماني عربي كبير ظهرت منه ملزمتان حتى الآن (١٩٦٢ و ١٩٦٥). ونشير في ختام هذا العرض إلى القاموس الألماني العربي للغة الدارجة في فلسطين ولبنان» الذي أخرجه ليونهارد باور بالاشتراك مع أنطون شبيتالر في طبعة ثانية (١٩٥٧).

شعراء عرب

جرت أبحاث موضوعية في أفرع تفصيلية من الشعر العربي تتسم بالفائدة والتبيان، منها ما نشره جوستاف أ. فون جرونباوم (١٩٠٩) في مجلده الجامع «التقد و فن الشعر» (١٩٥٥)، من مقالات تكون سلسلة من

الدراسات الهامة فى تاريخ الأدب العربى: «فى الشعر العربى ونموه من عام ٥٠٠ إلى عام ١٠٠٠ الميلادى»، و«مفهوم الطبيعة فى الأدب العربى»، و«النقد الأدبى العربى فى القرن العاشر الميلادى»، و«مفهوم الانتحال فى النقد العربى». وهناك من أعمال المؤلف نفسه دراسة بعنوان «مساحة الواقع فى الأدب العربى المبكر» (١٩٢٧). وهناك بقلم جوستاف ريشتر (١٩٠٦ - ١٩٢٩) «فى تاريخ نشأة القصائد العربية القديمة» (١٩٢٨) ومن أعمال إريش بروينلش (١٨٩٢ - ١٩٤٥) «فى مسألة أصالة الشعر العربى القديم» (١٩٢٦) و«محاولة انتهاج نهج تأملى تاريخى أدبى فى الشعر العربى القديم» (١٩٢٧)، وبقلم مانفريد أولمن (١٩٢١) «بحوث فى شعر الرجز» (١٩٦٦)، وبقلم إيڤالد ڤاجنر (١٩٢٧) «أبو نواس. دراسة فى الأدب العربى بالعصر العباسى الأول» (١٩٦٥) و«أدب التفاخر العربى ومكانه من تاريخ الأدب العام». (١٩٦٢)، وبقلم أولريش تيلو «أسماء الأماكن فى الشعر العربى القديم، وعالج جيورج ميش (١٨٧٨) فلسفياً موضوع «تصوير البطل العربى ذاته فى أدب ما قبل الإسلام» (١٩٥٥)، ووضع أوجوست فيشر (١٨٦٥ - ١٩٤٩) وإريش بروينلش (١٨٩٢ - ١٩٤٥) معيناً لا غنى عنه للكشف عن استشهادات الشعراء فى مدونات الشرح العربية: «فهرس الشواهد. فهرس القوافى والشعراء أصحاب الشواهد الشعرية المستعملة فى شروح الشواهد العربية وما إليها من الكتب». (١٩٤٥).

أما معالجة النصوص وإخراج الطباعات فى الحقبة الأخيرة فنشير منها إلى كتاب هلموت جيتيه «مقتطفات الشاعر عدى بن الرقاع» (لم يظهر بعد)، وكتاب إيڤالد ڤاجنر «رواية ديوان أبى نواس ومخطوطاته» و«ديوان أبى نواس، جزء أول» (١٩٥٨)، وعمل فيلهلم هونرياخ (١٩١١)

وهلموت ريتز «مواد جديدة فى دراسة الزجل»: جزء أول. ابن قزمان.
جزء ثان. مدجليس (١٩٥٠ و ١٩٥٢).

واتجه جوتنهولد هايل (١٨٨٢ - ١٩٦٠) فى كتابه «أساس ونظام
الأوزان العربية القديمة» (١٩٥٨) اتجاهًا جديدًا فى تأويل عروض
الخليل بن أحمد، ولكن الكلمة الحاسمة فى هذا الموضوع لم يجز بها
قلم أحد بعد. وكان شتيفان فيلد (١٩٣٧) قد شرع فى دراسات تدور
حول الأوزان الشعرية العربية.

النثر العربى

قلت الموضوعات التى يتناولها البحث حديثاً فى ميدان الأدب النثرى
قلة نسبية، توشك أن تصل إلى درجة الندرة. من الأبحاث التى أجريت
فى هذا الميدان نشير إلى بحث إيكتر شتيتز (١٩٣٨) «قوالب
وتخطيطات فى الحديث» (١٩٦٥)، وإلى ما يقوم به هريبرت بوسه
(١٩٢٦) من بحث فى النوع الأدبى المختص بمرآة الأمراء عند
المسلمين، وإعداد لثبت مفصل بالمخطوطات والنصوص والأعمال
الثانوية. ولدينا بقلم ألبرت ديتريش (١٩١٢) دراسة عن «كتاب الجليس
والأنيس للمعافى، كتاب أدب ثمين» (١٩٥٥)، وبقلم ماكس هايسفايلر
(١٩٠٢) «قصص عربية قديمة وخلفيتها التاريخية» (١٩٥٨)، وبقلم ياول
كاله (١٨٧٥ - ١٩٦٤) «منار الأسكندرية. تمثيلية لخيال الظل فى مصر»
(١٩٣٠) وبقلم فيلهلم هونريخ (١٩١١) «مسرح الظل فى شمال أفريقيا»
(١٩٥٩).

وكثيراً ما اهتم الباحثون فى الحقبة الأخيرة بمجموعات الأمثلة،
خاصة بالمجموعات الحديثة. وتولدت عن هذا الاهتمام أبحاث منها

«مجموعات الأمثلة العربية الفصيحة، وخاصة مجموعة أبي عبيد» (١٩٥٤) بقلم رودلف زهايم (١٩٢٨)، ومن أعمال إنو ليتين (١٨٧٦) - (١٩٥٨) «حكمة شرقية فى الأمثال. أمثال وألغاز عربية» (١٩٣٧) و«أمثال وألغاز قاهرة» (١٩٣٧)، وبقلم سعيد عبود «٥٠٠٠ مثل عربى من فلسطين» (نشرها عام ١٩٣٣)، وبقلم مارتن تيلو «٥٠٠٠ مثل عربى من فلسطين» (ترجمها من العربية إلى الألمانية عام ١٩٣٧)، وبقلم ز. د. ف. جويتاين «يمينيات. أمثال وعبارات من وسط اليمن» (١٩٣٤).

من ترجمات النصوص العربية النثرية نذكر: «طوق الحمامة. فى الحب والمحبين لأبى محمد على بن حزم الأندلسى» (١٩٤١، تكرر طبعه مراراً) لماكس فايسشايلىر. وله أيضاً «زخارف حب عربية» (١٩٥٤) و«حكايات عربية» (١٩٦٥)، ومن ترجمات هانس فير (١٩٠٩) «كتاب الحكايات العجيبة والأخبار الغربية، حكايات عربية» ترجمة جزئية (١٩٥٩)، وكان فير قد نشر النص الأصيل عام ١٩٥٦. ومن ترجمات إنو ليتين «حكايات عربية» (١٩٣٥) و«حكايات وطرائف عربية من مصر» (١٩٥٥) وكان قد جمعها من الرواية الشفهية.

وقد لقى الأدب العربى الحديث (نثره وشعره) الاهتمام من كارل بروكلمن الذى خصه بعرض مستفيض فى الجزء الثالث من الملحق (١٩٤٢، من ص ١ إلى ص ٤٩٩)، ولكن عدد الترجمات والدراسات التحليلية للمؤلفات المميزة لذلك الأدب النثرى الحديث قليل حتى الآن، من ذلك «محمود تيمور» (١٩٣٢) و«إبراهيم المويلحى» (١٩٥٤) لجوتفريد فيدمر. ولا يزال على الدراسات العربية فى ألمانيا الكثير فى هذا الميدان. ويعمل أربيل بلوخ (١٩٣٣) حالياً فى إعداد منتخب من مؤلفات الكتاب العرب المعاصرين.

مؤسّسات ومنظمات

مجلات وسلاسل

لا يعيش المستشرقون في الفراغ، شأنهم في ذلك شأن ممثلي الأفرع الأخرى من الدراسات، بل يضعون أنفسهم، وإن بدا عملهم شبيهاً بعمل العلماء الخاصة شبيهاً كبيراً، في خدمة المجتمع الذي ينتمون إليه، والذي يمولهم ويشجعهم. ويتضح هذا في أن تخصص الاستشراق له في كل جامعة على الأقل كرسى يمثله (أنشئت كراسى الاستشراق في فرايبورج وكيل وجيسن منذ أعوام قليلة) ومجموعة من وظائف المعيدين تتيح المجال لتثنية جيل المستقبل من المستشرقين. وهناك عون آخر جوهري يتلقاه الاستشراق ويتمثل في المكتبات المتخصصة اللازمة لكل عمل علمي. فكل قسم للدراسات الشرقية أو معهد للدراسات الشرقية بأى جامعة من الجامعات يمتلك مكتبة كبيرة أو صغيرة خاصة بالقسم أو المعهد تكتمل وتتسع على الدوام. علاوة على الأقسام الخاصة بالاستشراق في مكتبات الجامعات نفسها (وفي دار الكتب الباقارية في ميونيخ، ودار كتب غرب ألمانيا في هامبورج). وترعى مكتبة الجامعة الخاصة بجامعة توبنجن الاستشراق بصفتها ما يسمى «منطقة التجميع الخاصة» وتتلقى بهذه الصفة من جمعية البحث الألمانية - تلك الجمعية

التي تموّل الكثير من مشروعات البحث المختلفة - اعتمادات كبيرة جداً للقيام بشراء المؤلفات التي تصدر في الخارج متصلة بالاستشراق بصفة منتظمة. ويمكن نظام الاستعارة في مكتبات الجامعات الألمانية المستشرقين - الذين لا يجدون بغيتهم من الكتب في مكتبة الجامعة التي يختلفون إليها - من الحصول عليها من مكتبة أخرى بالطريق الرسمي. ونود في هذا المقام أن نذكر بالامتنان نشاط أمناء المكتبات الاستشراقية المتخصصين الذين يعنون في سكون تام وفي غير كلف بالإعلان عن أنفسهم بشراء النشريات التي تظهر حديثاً أو التي تعرضها مكتبات الكتب القديمة، ويُعدّون بذلك للمتخصصين وسائل العمل التي لا غنى لهم عنها، أو التي تمهّد لهم التصدي لمشروعات للبحث يعقدون عليها العزم، ولا أقل من أن نذكر اسماً واحداً ينوب عن الجميع، اسم أمين مكتبة جامعة توينجن المستشرق الهادئ إميل كومرر.

والمستشرقون الألمان منظمون في جمعية تضمهم هي الجمعية الشرقية الألمانية ذات كيان «الاتحاد المسجل» التي تقوم منذ ١٢٠ سنة والتي تجمع المستشرقين الألمان ومن بينهم ممثلو الدراسات المصرية والصينولوجية والهندولوجية واليابانولوجية والدراسات الأفريقية. أنشئت الجمعية الشرقية الألمانية في عام ١٨٤٥ ثمرة سعى المستشرق المتخصص في الدراسات العربية هاينرش ليبيرشت فلايشر في لايبتيج، وأعيد إنشاؤها بعد الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٨ في ماينتس ثمرة مبادرة هلموت شيل (١٨٩٥)، لتمثل تحت رئاسة أعضاء مجلس إدارتها العاملين بصفة شرعية مصالح المستشرقين الألمان ولتقيم علاقات لهم مع ممثلي هذا التخصص من الأجانب ولتنظم بصفة دورية كل عامين أو ثلاثة أعوام مؤتمراً ألمانياً داخلياً للمستشرقين (انعقد المؤتمر الأخير في الصيف في مدينة هايدلبرج).

وللجمعية الشرقية الألمانية منذ ١٩٦١ معهد ألماني للدراسات الشرقية في بيروت مهمته القيام بموضوعات بحث خاصة وعلى تدعيم الصلة بين الاستشراق والبلدان العربية، وبملاحظة عمليات الطبع التي تجريها الجمعية في المطابع العربية. ويهدف هذا المعهد بصفة خاصة إلى إعطاء المستشرقين الألمان وخاصة المتخصصين في الدراسات العربية والدراسات الإسلامية، والشباب منهم، فرصة متابعة دراساتهم وبحوثهم في فترة إقامة تستمر بين سنة وستين في ربوع الشرق. وقد نهض هانس روبرت رويمر (١٩١٥) بصفته المدير الأول للمعهد بإنشائه واستحق الثناء والتقدير على ما بذل من جهد في هذا السبيل. وظل رويمر مديراً للمعهد حتى استُدعى إلى جامعة فرايبورج لشغل كرسي الاستشراق بها عام ١٩٦٣، فخلفه في إدارة المعهد فريتس شتيبات (١٩٢٣).

وتظهر مجلة الجمعية الشرقية الألمانية بانتظام حاملة المقالات العلمية المتخصصة ونقد الكتب في ميادين الاستشراق جميعاً بما في ذلك ميدان الدراسات الصينولوجية وغيره، وبلغ عدد ما صدر من مجلداتها حتى الآن ١١٥ عددًا، عكف إيڤالد فاجنر على إعداد فهرس عام (صدر عام ١٩٥٥) لمواد المجلدات المئة الأولى منها، تسهيلاً للبحث والإفادة. وهناك فضلاً عن هذه المجلة، مسلسلات نشرية تمويلها الجمعية وترعاها وهي «دراسات في علم المشرق» و«المكتبة الإسلامية» وهي سلسلة من النشريات أنشأها هلموت ريتز عام ١٩٢٩. ويوجد ممثلو الدراسات العربية والدراسات الإسلامية مجالاً آخر لنشر مقالاتهم ودراساتهم الصغيرة يتمثل في مجلتين أخريين غير مجلة الجمعية الشرقية الألمانية، أشرنا إليهما من قبل، هما مجلة «الإسلام» (منذ عام

١٩١٠. فى العام الواحد والأربعين حالياً)، ومجلة «عالم الإسلام» (منذ عام ١٩١٤، ثم أصبحت سلسلة جديدة بترقيم جديد ابتداء من عام ١٩٥١). وقد ظهرت من مجلة إسلاميكا التى أسسها أوجست فيشر مجلدات سبعة بين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٢٩. وتختص «جريدة المدونات الاستشراقية» بمناقشة الكتب المتصلة بالاستشراق ونقدها، ولا تعدى هذا الاختصاص قط، وكانت تصدر من عام ١٨٩٨ حتى عام ١٩٤٤ واكتملت لها ٤٧ سنة من الصدور، ثم كان لريشارد هرتمن فضل المبادرة بإعادة إصدارها منذ عام ١٩٥٢. أما مجلة «أورينس» التى نشأت عام ١٩٤٨ واشترك فى إنشائها وتحريرها هلموت ريتز اشتراكاً جوهرياً والتى يقوم على تحريرها حالياً بعد هلموت ريتز فى فرنكفورت رودولف زلهيم، فهى تنطق باسم الجمعية الدولية لبحوث الشرق، ولا تعتبر مجلة ألمانية إلا بتحفظ. وقد صدر منها حتى الآن ١٨ سنة. أما سلسلة النشريات المختصة بالدراسات الإسلامية التى أسسها ج. أ. فون جرونبيوم عام ١٩٦٢ «مكتبة الشرق» فقد أشرنا إليها من قبل. ونشير فى هذا المقام أيضاً إلى مجلة «الشرق» التى تختص بأحوال الشرق حالياً وبأحواله الاقتصادية بالدرجة الأولى، والتى تخرج عن «اتحاد الشرق الأدنى والأوسط» فى هامبورج وتتحدث بلسانه. كذلك نشير إلى مجلة «موندوس» التى يخرجها ه. ف. بير منذ عام ١٩٦٥ باللغة الإنجليزية ويناقش فيها النشريات الألمانية العلمية الجديدة التى تختص بآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، فهى تضم فيما تضم أخبار النشريات الجديدة فى صعيد الدراسات الإسلامية والدراسات العربية.

نظرة إلى الوراثة ونظرة إلى الأمام

إذا نظر الإنسان نظرة إلى الوراثة إلى النشريات الكثيرة التي صدرت في الحقبة الأخيرة باللغة الألمانية في ميدان الدراسات الإسلامية والدراسات العربية، راعه ضخامة ما أنجز من عمل وما هو بسبيل الإنجاز. كل دراسة تعتمد على علم متعمق وجهد صلب وتنطق بحب عظيم للمادة التي تتخذها موضوعاً لها. ويحق للإنسان أن يفرح بما تم، ويخطئ الإنسان إن أخذه الغرور والزهو، والأحرى به أن يتواضع ويفكر في حدود المعرفة البشرية. كل دراسة في هذا الميدان هي في حقيقتها جزء صغير أو ضئيل في كلِّ كبير مكانه في البُعد، في المستقبل، ولا سبيل إلى بلوغه بل إلى الاقتراب منه على أحسن الأحوال إلا بخطى صغيرة. وينبغي على العالم أن يعيد النظر في موقفه من حين لآخر ويتمثل ضخامة المادة التي عليه أن يحيط بها والمدونات الثانوية التي زاد حجمها زيادة تجعل من المحال أن يلم بها، ويسأل نفسه ألم يهوَ إلى لون من العزلة، وألم توشك دراساته المتخصصة أن تصبح هدفاً لذاتها؟

لا شك أن البحث العلمي العميق وحده هو الذي يأخذ بيدنا إلى أمام، ولا شك أننا لا نستطيع أن نجعله مقبولاً من كل إنسان سائغاً لكل فم.

هذا إلى أن العالم مضطر اليوم أكثر من أى وقت مضى إلى الكلف بالثغرات، أعنى إلى الاهتمام بمراكز ثقل معينة وإلى قبول الاكتفاء من الميادين الأخرى بما يكتفى به غير المتخصص فيها من علم. ولكن لا بد أن تكون مراكز الثقل التى يوجه إليها اهتمامه مراكز ثقل حقاً وصدقاً، ولا ينبغي أن تكون مجرد غرائب وعجائب، والفيصل فى الأمر هو تقدير ما إذا كانت المعلومات والآراء التى يرجو الحصول عليها نتيجة لبحثه تبشر فى غير كثير من التكب وفى وقت معلوم معقول بثمرة تفيد جماعة أوسع من إخوانه البشر.

وقد يُؤتى المتخصص - فى هذه الحالة: المتخصص فى العلوم الإسلامية أو المتخصص فى العلوم العربية - فرصة تعريف جمهور كبير بميدان نشاطه العلمى مباشرة بمحاضرة عامة يلقيها عليه أو كتيب مبسط يصنفه له، فعليه أن ينتهزها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وألا يتشبث بوجهة نظر الفن للفن التى تقادم عهدا. ونحن - معشر المستشرقين - نتمتع بميزة الجلوس فى مكان ذى نافذة نطل منه على الشرق الساحر الجذاب. والآخرون على حق عندما ينتظرون منا أن نعرفهم من حين لآخر بالعالم الذى نحيط به علماء، ولو سلطنا فى ذلك سبيل كتاب مؤقت. وسنجد فى الاهتمام الواعى لجمهور المستمعين الكبير الذى نلقى عليه ما نصف من محاضرات، وفى الاستجابة المدهشة لجمهور القارئین الواسع المنتشر الذى ندفع إليه ما نصف من كتب، ما يعوض الجهد الذى نبذله فى صب العلم المتخصص فى قالب مبسط يفهمه العامة.

وهناك آمال وتمنيات تختلج فى أنفسنا فى أمر توسيع الاستشراق الألمانى وتطويره، فنحن، على قدر ما أتبين، مفتقرون فى الوقت

الحاضر إلى عالم متخصص في عملية الإصلاح والتجديد التي تتناول الشريعة الإسلامية وخاصة ما يتصل منها بالأحوال الشخصية. وإذا كان لدينا الآن تمثيل قوى حالياً للبحوث الخاصة باللهجات في الدراسات العربية، فإن عدد الأبحاث التي تتناول تاريخ الأدب لا يزال قليلاً نسبياً، ولا يزال البحث في الأدب العربي الحديث في بدايته لم يتجاوزها إلا قليلاً. وهناك طائفة كبيرة من الموضوعات والمشكلات الهامة تتطلب المزيد من الجهد، ولدينا جيل جديد مؤهل نابه مستعد للعمل، والدلائل كلها توحي بأن أفرع علوم العربية والعلوم الإسلامية ستستمر في الازدهار والنماء بالجامعات الألمانية في المستقبل أيضاً.

وقد يؤدي استقلال الدراسات الإسلامية وتحولها إلى مادة قائمة بذاتها، مع التطور الجديد الذي شمل الدراسات العربية، إلى تغييرات في نظام تمثيل هذه الدراسات بالجامعات في وقت قريب. فالدراسات الإسلامية (وتوسطها اللغة العربية لغةً رئيسية) تفرعت من الدراسات السامية، وأدى هذا إلى ما جرت عليه العادة حتى الآن، من قيام أستاذ كرسى الدراسات الإسلامية بتمثيل مادة الدراسات السامية أيضاً، أو على العكس، من اشتراط تضلع المستشرق من الدراسات السامية أولاً ليشغل كرسى الاستشراق، وليمثل الدراسات الإسلامية بصفة توشك أن تكون إضافية فقط. كان يُطلب من أستاذ الإسلاميات إذن معرفة اللغات العربية والفارسية والتركية، وعلاوة عليها معرفة العبرية والسريانية والآرامية والحبشية، يعنى معرفة ست لغات شرقية شرطاً أساسياً لشغل المنصب. ومن البديهي أن الإثقال الشديد في الصعيد اللغوي (بما في ذلك القيام بالتدريس اللغوي في القسم) أدى إلى المساس بالدرس والبحث فيما يتعلق بميدان الدراسات الإسلامية خاصة. لهذا يبدو من

الضرورى أن تُتخذ خطوات لتصفية ما لا بد من تصفيته. فإن الأستاذ الذى يمثل مادة الدراسات الإسلامية يملأ بها وقته كله، والأفضل الا يكلف بتدريس السريانية - الآرامية والأثيوبية أو أية لغة سامية أخرى (غير اللغة العربية). على أن هذا الفصل يحمل فى طياته صعوبات تهدد من الناحية العملية بزيادة، إن لم يكن بمضاعفة عدد كراسى الاستشراق. وربما أمكن الالتجاء إلى تخصيص كراسى الاستشراق القائمة حالياً خاصة بالجامعات المتجاورة، هذا للدراسات الإسلامية يقوم عليه أستاذ فى الإسلاميات، وذلك للدراسات السامية يقوم عليه أستاذ فى الساميات. ولكن هذه كلها أفكار وإمكانات تطوير تشير إلى مستقبل بعيد. وإذا كنا نعبر عنها هنا، فقصدنا من هذا أن نبين أن الدراسات الإسلامية (باللغة العربية لغة أساسية) قد استقلت تماماً وأصبحت مادة قائمة بذاتها، وأنه يستحب أن يركز الأساتذة الجامعيون الذين يختصون بهذه المادة، جهدهم كله مستقبلاً فى هذا الميدان من الدرس والبحث، وهو ميدان له أهميته، وله تشعباته الكثيرة.

فهرس بأسماء المستشرقين الذين ورد ذكرهم بالكتاب

Ahlwardt, Wilhelm	Bode, Wilhelm von
Ahrens, Karl	Boer, T. H. de
Altheim F.	Bräunlich, Erick
Andrae, Tor	Braun, Hellmut
Babinger, Franz	Braune, Walther
Bachmann, L.	Bremer, Marie Luise
Bachmann, Peter	Brisch, Klaus
Bähr, H. W.	Brockelmann, Carl
Bauer, Hans	Brönnle, P.
Baure, Leonhard	Brugsch, Mohammed
Becker, Carl Heinrich	Bürgel, J. Christoph
Beldicanu Steinherr, Irene	Buhl, Frants
Belot, J. B.	Busse, Heribert
Berchem, Max van	Caskel, Werner
Bergsträsser, Gotthelf	Caspari- Wright
Bertholet, Alfred	Daniel, Norman
Björkman, Walter	Dedering, S.
Blau, Josua	Denz, Adolf
Bloch, Alfred	Dieterici, Friedrick
Bloch, Ariel	Dietrich, Albert

Diez, Ernst	Freytag, Georg Wilhelm
Diewald- Wilzer, Susanna	Fritsche
Dubler, César E.	Fück, Johann
Duda, Dororthea	Gätje, Helmut
Duda, Herbert W.	Galland, Antoine
Eilers, Wilhelm	Garbers, Karl
Ess, Josef van	Geiger, Abraham
Erdmann, Kurt	Stetter, Eckert
Ernst, Hans	Stieglecker, Hermann
Erpenius, Thomas	Stiehl, R.
Ettinghausen, Richard	Strothmann, Rudolf
Euting, Julius	Stumme, Hans
Fischer, August	Suter, Heinrich
Fischer, Wolfdietrich	Taeschner, Franz
Fleischer, Heinrich Lebe- recht	Teufel, Johann Karl
Fleischhammer, Manfred	Tholo Martin
Fleischmann, Manfred	Thilo, Ulrich
Flemming, Barbara	Thorbecke, Heinrich
Flügel, Gustav	Thorning, Hermann
Forrer, Ludwig	Tietz- (Jacobi), Renate
Fraenkel, Siegmund	Topf, Erich
Freyer, Barbara	Tschudi, Rudolf
	Ullmann, Manfred

Venerabilis, Petrus
Voigt, Wolfgang
Vollers, Karl
Wagner, Ewald
Wahrmund, Adolf
Walzer, Richard
Wangelin, Helmut
Wehr, Hans
Weil, Gotthold
Weil, Gustav
Weissbach, F. K.
Weisweiler, Max

Wellhausen, Julius
Wensinck, Arent Jan
Wernst, Paul
Wetzstein, Johann Gottfried
Widmer, Gottfried
Wiedemann, Eilhard
Wild, Stefan
Winkler, Hans Alexander
Wissmann, Hermann von
Wittek, Paul
Wüstenfeld, Ferdinand

المؤلف فى سطور:

رودى پارت

وُلد عام ١٩٠١، درس اللغات السامية والتركية والفارسية فى جامعة توينجن فى الفترة من ١٩٢٠ حتى ١٩٢٤، وتخرج على يد المستشرق الألمانى ليمان. أمضى سنتين فى القاهرة (١٩٢٥ و١٩٢٦)، كان اهتمامه فى البداية بالأدب الشعبى ثم تحول إلى الاهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية، خاصة القرآن الكريم. تولى العديد من المناصب العلمية منها مدرس فى جامعة توينجن، وأستاذاً بجامعة هايدلبرج، ثم عاد إلى توينجن أستاذاً للغة العربية والإسلاميات من عام ١٩٥١ - ١٩٦٨. من أهم مؤلفاته «محمد والقرآن» كما ترجم معانى القرآن الكريم إلى الألمانية، وله كتاب عن القرآن بعنوان «القرآن تعليق وفهرست».

المترجم فى سطور:

مصطفى ماهر

وُلد فى القاهرة فى عام ١٩٢٦. وهو أستاذ بكلية الألسن جامعة عين شمس، حيث أسس منذ مطلع الستينيات قسم اللغة الألمانية وآدابها والترجمة على المستوى الأكاديمى، وأدخل علم الترجمة الذى ازداد ترسخاً بمرور الزمن. درس فقه اللغة الألمانية وآدابها، وفقه اللغات ذوات الأصول اللاتينية، وفقه لغات وثقافات الأمم الإسلامية وحصل فيها على الدكتوراه من جامعة كولونيا بألمانيا فى عام ١٩٦٢. له فلسفته الثقافية ونظريته فى الترجمة، ومن أقواله: «تؤدى الترجمة أدواراً حاسمة فى تشكيل الاستقبال الثقافى واستثماره، وفى العمل على التغلب على الحواجز بين الثقافات، محولة الحواجز إلى جسور، إلى أن تتحقق بالترجمة أدق صور ثقافية إنسانية ممكنة معبرة عن تكامل البشر». أهم ترجماته: ترجمة القرآن الكريم كاملاً إلى اللغة الألمانية (نشرتها وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية). له برنامج ترجمة متكامل يقوم على انسجام جهوده الفردية فى مجالات الثقافة وبخاصة الأدب والفلسفة مع الجهود المؤسسية. ظهرت أول ترجماته عن الفرنسية فى عام ١٩٥٢/١٩٥٢ وما زال نشاطه - منذ اعتمده طه حسين مترجماً - مستمراً منذ أكثر من نصف قرن فى النقل عن الفرنسية والألمانية. تشمل ترجماته المنشورة مجموعة

مجلدات المختارات، وأعمالاً أدبية كاملة تمثل العصور المختلفة من العصر الوسيط إلى العصر الحاضر نذكر منها في مجال كلاسيكيات المسرح الألماني مسرحيات جوته من البداية إلى الصياغة الأولى لفاوست، ومسرحيات مختارة من أعمال ليسنج وكلايست وكبار المعاصرين من أمثال دورينمات وفريش وهادنكه. ونذكر في مجال الأدب القصصي السيرة الذاتية لجوته ولعبة الكريات الزجاجية لهرمن هيسه والقصر والقضية لكافكا. وهو يذكر بامتان خاص تكريم المؤتمر الدولي الأول للترجمة الذي أقامه المركز القومي للترجمة بمشاركة المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة في مارس ٢٠١٠ له تقديرًا لعطائه وجهوده في إثراء حقل الترجمة من وإلى العربية.

التصحيح اللغوى : وليد خير الله

الإشراف الفنى : حسن كامل



هذا الكتاب الذي ألفه العالم الجليل رودى پارت
- مترجم القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية - يعرض
لتطور الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات
الألمانية منذ منتصف القرن الماضى وحتى الآن، وهو
تكملة لجهود سبقت عند غيره من المستشرقين
الألمان، كما يعرض الكتاب لقضية مهمة، وهى مدى
تقبل الباحثين الشرقيين لدراسات الاستشراق.